الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي صالحي أحمد-النعامة

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي بعنوان

# صورة الرجل الأبيض في الأدب الافريقى

ميدان اللغة والأدب العربي شعبة الدراسات الأدبية تخصص أدب عربي حديث ومعاصر


**إشراف الدكتور:**

- موساوي أحمد

**إعداد الطالبة :**

- أغامير مريم


| الإسم و اللقب | الرتبة | الصفة |
|---|---|---|
| د. علي سعد | أستاذ مساعد-أ- | رئيسا |
| د. أحمد موساوي | أستاذ | مشرفا و مقررا |
| د. قيطون أحمد | أستاذ | مناقشا |

الموسم الجامعي: 1445/1446هـ ، 2024/ 2025

C.U.N
المركز الجامعي بالنعامة
CENTRE UNIVERSITAIRE DE NAAMA

**الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية**

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

# تصريح شرفي

# خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : أغامير مريم

الصفة ( طالب – أستاذ – باحث )

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 208521269

الصادرة بتاريخ : 2022/11/17

المسجل (ة) بكلية / معهد : الآداب واللغات

قسم :

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث ( مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير– أطروحة دكتوراه ) عنوانها : صورة الرجل الأبيض في الأدب الإفريقي .

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ :

**توقيع المعني**

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

أما بعد أهدي هذا العمل المتواضع إلى من ساندني وشجعني على اتمام هذا العمل والى من آمن بقدراتي ومنحني الأمل.

إلى روح من كان سندي الأول ونبراس طريقي، الى من رحل عن الدنيا لكنه باق في قلبي وعقلي ودعائي ... الى روح أبي الغالي وإلى أمي.

حفظها الله ورعاها.

والى كل عائلتي، زوجي وأبنائي الأعزاء حفظهم الله

.

# شكر وتقدير

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ومنحنا الاعانة على إتمام هذا العمل

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

"من لا يشكر الناس لم يشكر الله، ومن أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فأدعوا له"

وعملا بحديث رسولنا الكريم واعترافا بالجميل نقدم الشكر الجزيل الى الدكتور المشرف السيد موساوي أحمد الذي رافقني طيلة هذا البحث، وأمدني بالمعلومات والنصائح القيمة، راجين من الله عز وجل أن يسدد خطاه ويحقق مناه، فجزاه الله عني كل خير.

دون أن أنسى أعضاء اللجنة المناقشة الموقرة على تفضلهم بقبول مناقشة مذكرتي وإثرائها بملاحظاتهم القيمة.

الذين تكرموا بقراءة هذا البحث وتقييمه بتوجيهاتهم

وجميع أساتذة اللغة والأدب العربي بالمركز الجامعي صالحي أحمد.

والى جميع من ساعدني من قريب أو بعيد.

# مقدمة

تعتبر المتعة الأدبية الموجودة في الأدب الإفريقي متعة مغمورة بالتشويق، والحديث الطويل عن بلاد موجوعة يسودها الظلام وبساطة الحياة، وحكاية تناقلها الأولين وسطرتها الكتب والأروقة الأدبية عن معاناة شعوب. لنجد تلك الصورة المعبرة عن العتمة وملامح العبودية والسيادة، وقراءات الهوية والضياع. هذه الصورة التي تم التقاطها من العدسة العرقية للقارة، ومن أقلامها الزنجية ودفاتر مستعمريها وبعض مستكشفيها، وهذا ما ساعد في تشكيل الأدب الإفريقي وانتشال نفسه من واقع التهميش لمكانة هامة بين الآداب العالمية.

فمعاناة شعوب القارة لم تزد هذا الأدب الا غنى وتنوعا، وعمقا في التعبير وتوسعا في الأفكار، وكثرة في اللغات الناطقة به، بين محلية وأجنبية، مقابل ذلك أراد المستعمر رسم الصورة النمطية للعالم المرتبطة بإفريقيا والتي أرادت أن تجعل من الأدب الإفريقي أدبا لا يرق الى مصاف الآداب العالمية وهي الصورة التي رسمها المبشرون والمستكشفون والغزاة للقارة السمراء.

## 1. أسباب إختيار الموضوع :

### أ. اسباب ذاتيه:

كون موضوع الأدب الإفريقي موضوع غير مألوف في الأدب العالمي ولم يرى الاهتمام اللازم ، عدى بعض المقالات أو بعض الكتب غير المترجمة ، اضافه لانعدام المراجع من المتخصصين ، كما أن المعلومات في هذا الموضوع شحيحه جدا اضافه لما تعرض له الأدب الاغريقي من محاولة تشويه من قبل المستعمر.

### ب. اسباب موضوعيه :

من خلال القيمة الأدبية ، التي يمثلها موضوع الأدب الافريقي في اثراء الأدب العالمي بطابع متنوعمن الأداب لما تعرضت له افريقيا في السنوات الماضية من استعمار ومحاولة تغيير في الهوية والادب الافريقي ، اضافه إلى الحاجه الماسة إلى مواجهة قبل الرجل الأبيض وقصد إثراء المكتبة بطابع ادبي افريقي فريد من نوعه وبمواضيع تعتبر منعدمة في هذا الجانب.

ولهذا قمت باختيار هذا الموضوع فبعد اطلاعي على بعض من أعمال المؤلفين الأفارقة وجدت في كتاباتهم عمقا في الانتماء وإعتزاز بالهوية وهذا ما ترك في داخلي ذلك الشعور بالقيام بكشف صورة المستعمر التي رسمها هؤلاء الأدباء. هذا الأجنبي الذي لوث إرث افريقيا الخام، ومزق ثقافتها العذراء.

## 2. الإشكالية:

ولقد تبادر إلى ذهني مما سبق ذكره عدة إشكاليات حول هذا الموضوع لعل أهمها:

- ماهية الأدب الإفريقي وأهميته؟
- ماهي البصمة التي تركها الرجل الأبيض في الأدب الافريقي؟
- هل كان تأثير الرجل الأبيض سلبيا على الأدب الافريقي؟

### 3. منهج الدراسة:

لقد قمت في هذه الدراسة بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي للوصول الى النتائج المرجوة من هذه المذكرة.

### 4. الهدف من الدراسة:

الهدف الرئيسي الذي رجوته من هذه الدراسة هو لفت النظر الى الدراسات الإفريقية والأدب الأفريقي عامة المهمل من جهة الطلبة الذين يتجنبون أخذه كبحث أو رسالة تخرج بحجة تقلص مساحة إنتاجه و قلة المراجع حوله. وثانيا التعرف على تأثير الاستعمار على أدب القارة التي أنتمي اليها والاهتمام بفكرها مع نزع رداء التحضر الذي دخل به المستعمر إليها وكشف بشاعته.

ومن اجل الإلمام بتلك الفكرة الجامعة بين الأدب الإفريقي وتأثير الاستعمار على الحياة الطبيعية والفكرية مستعينة بعينات من الإبداع الإفريقي، قمت بوضع المذكرة تحت عنوان "صورة الرجل الأبيض في الأدب الإفريقي دراسة نماذج "

### 5. الإطار المكاني والزماني للدراسة:

حددت هذه الدراسة في أدب خاص بشعوب إفريقيا وأدباء إفريقيا فكان إطارها المكاني القارة السمراء باستثناء بعض الأدباء الأفارقة الذين اخرجوا إبداعاتهم خارج القارة بحكم النفي أو الدراسة أو كانوا عبيدا وأعتقوا. لكن أدبهم ظل مرتبطا بانتمائهم فكريا وعاطفيا. عرجت في دراستي على فترات زمنية مختلفة تعبر عن تطور الأدب الإفريقي ومدى تأثره بالمستعمر.

### 6. الدراسات السابقة:

نظرا لقلة الدراسات الجامعية السابقة في هذا المجال، وجدت أنه من الضروري التوجه لدراسة الأدب الإفريقي لسد هذه الفجوة البحثية، ودراسة ما ألفه بعض الباحثين من كتب "كمدخل سوسيولوجي للأدب الإفريقي دراسة في أعمال وولي سوينكا" لمحمد سعيد القن والكثير من المقالات حول قضايا الأدب الإفريقي وأكثر الكتب التي اعتمدت عليها هي للناقد علي شلش ومؤلّفه "الأدب الإفريقي " و غيرها من ما احتوى على شأن النصوص الادبية الافريقية العالمية.

### 7. الصعوبات والعقبات:

أول عقبة واجهتني في إنشاء هذه المذكرة هي المراجع فهي قليلة جدا في المكتبات وحتى في المواقع. باستثناء

المقالات في هذا الشأن واللقاءات الإعلامية والمحاضرات الكبرى. وكانت كثرة التحليلات لنفس الفكرة تعيق في استخلاص الفكرة وذلك راجع للترجمة التي تنقص من قيمة النص فنيا وتأويلها.

ومن أجل الإحاطة بهذا الموضوع ومدى تأثير الرجل الأبيض على الأدب الإفريقي قمت بتقسيم هذه الدراسة بين مدخل وفصلين.

كان المدخل نافذة تطل على جوانب من الأدب الإفريقي فعرفناه على لسان المحليين والمستفرقين ثم ألقينا نظرة على أهميته في الأدب العالمي. لنعرج بعدها على الخصائص الفنية للأدب الافريقي وختمناه بالحديث عن طبيعة المستعمر في القارة السمراء.

أما الفصل الأول كان بعنوان " الإطار النظري حول صورة الرجل الأبيض في الأدب الإفريقي" والذي قسمناه بدوره الى أربعة مباحث، فتكلم الأول عن نشأة الرجل الأبيض في الأدبي الإفريقي. أما الثاني تكلم عن المفاهيم النقدية حول المستعمر والمستعمر، في حين شمل المبحث الثالث الرؤى الرمزية للرجل الأبيض في الأدب الافريقي، ليليه ذكر المواقف المتعددة للأدب الإفريقي تجاه الرجل الأبيض في المبحث الرابع

ثم نأتي للفصل الثاني كان تطبيقيا يقوم على دراسة نماذج تحت عنوان " دراسة تطبيقية لصورة الرجل الأبيض في الرواية" فوضعت على طاولة الدراسة بعض النماذج من الأدب الإفريقي الرافض للمستعمر، والمعتز بوطنه. كرواية "أشياء تتداعى" للروائي اتشينوا أتشيبي ومسرحية " موت الملك الحصيف" للشاعر وول سوينكا. هذا الفصل هو الآخر قسم إلى أربع مباحث، في الأول ألقينا نضرة مختصرة على نبذة عن المؤلف والرواية. وفي الثاني قدمنا تحليل لصورة الرجل الأبيض في الرواية. لنتطرق في المبحث الثالث للعلاقة بين الرجل الأبيض والرجل الافريقي في الرواية. ليشمل الرابع رؤية الرواية لمسألة التراث الإفريقي في ظل وجود المستعمر

في الأخير نرجو من الله التوفيق والسداد، ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف على هذه المذكرة حيث لم يبخل علينا بالتوجيهات والملاحظات وكان له الدور الكبير في صياغة خطة البحث.

# المدخل

## الأدب الافريقي ومكانته

## في الادب العالمي

إن قدرة التعبير عن الحياة أعظم من الحياة ذاتها لذا فتحويل مجمل العواطف والأفكار والهواجس الإنسانية على اختلافها الى أدب مقروء مروي ومنقول مدون هبة لا تمنح لأي كان. فالأدب كتعبير إنساني يعد أصدق وأعظم مكتسبات البشرية على مختلف أجناسها وكمثال على ذلك نجد أن الأدب الإفريقي يعد مجموع الصور التي تعطينا عند جمعها وثائقي شامل لعوالم القارة.

## 1. مفهوم الأدب الأفريقي وأهميته التاريخية والثقافية

اذا التفتنا الى الأدب الإفريقي فسنلاحظ تنوع التعاريف والنظريات حوله إذ كل عرفه حسب منظوره من بينهم المستفرقين[1] والمحليين. وكغيره من الآداب العالمية فهو ذو أهمية تاريخية و ثقافية كبيرة.

### 1.1. تعريف الادب الافريقي:

**أ.عند المحليين:**

نرى أن المفكرين الأفارقة قد دافعوا عن الأدب الإفريقي وحاولوا إيقاف النقاش الذي يدور حول إشكالية المصطلح، رغم اختلافهم فيما بينهم. وذلك برجوعهم الى الظروف التي نشأ فيها هذا الأدب واللغة التي يستخدمها فمعظم الأدباء الأفارقة يلجؤون الى لغة المستعمر لتسطير خواطرهم ومعاناتهم والكتابة عن يومياتهم.

إذ قال أديب جنوب افريقيا "مازيسي كونيني Mazisie conen إن الأدب الإفريقي هو أدب منطقة تم تحديدها عاطفيا على أساس قارئ. ثم حدد المفهوم بدقة أكثر معلنا عداؤه للمعنى الاقليمي قائلا:" هو الادب الذي يصور واقعا افريقيا بجميع ابعاده بما في ذلك النزاع مع القوة المسيطرة على القارة والنزاعات داخلها سواء أكان الاديب من اصل افريقي ام من غيره[2]"

[1] المستفرقون هو تعريب لكلمة تشير إلى فئة من المثقفين أو الكتاب العرب الذين تأثروا بالثقافة الغربية وخاصة منها الفرنسية والإنجليزية سواء من حيث الأفكار أو الأسلوب الأدبي أو النظرة إلى التراث العربي والإسلامي. فالمستفرق هو عالم باللغات والثقافات الافريقية.

[2] ، ص 13.

عرفه الأديب والروائي "اتشينو اتشيبي" Otchino atchipi انه المجموع الكلي للآداب العرقية والقومية في إفريقيا. وذكره "لورانس كورباندي كوديس Corbandi Codes" في كتابه "دراسة في الأدب الافريقي الحديث" انه ذلك الأدب الذي يتناول موضوع الأصل الافريقي، كحقيقة تاريخية بعيدا عن العنصرية ومستندا على فكرة الزنوجة مظهرا من مظاهر الافرقة. ويتخذ في ذلك شتى وسائل الأدب للتعبير عنه[1]

وفي نفس السياق يقول الباحث الناقد الروائي ابن جنوب أفريقيا، إزكيال (حزقيال) مفاليلي Ezekiel Mphalele «إن الشمال العربي المسلم لا علاقة له من الناحية الثقافية بالإنسان الأفريقي"[2].

فالأدب الإفريقي هو الأدب الذي ينتمي إلى قارة إفريقيا، باعتبار أن لكل قارة الأدب الخاص بها شأنه شأن الأدب الأوروبي، ومن هنا يمكن القول إن الأدب الإفريقي هو" الأدب الذي يصوّر واقعا إفريقيا بجميع أبعاده، وهذه الأبعاد لا تضم ألوان النزاع مع القوى صاحبة السيطرة السابقة على القارة وحسب، وإنما تضم أيضا النزاعات داخل القارة الإفريقية[3]».

وعند الحديث عن الأدب الإفريقي تجدر الإشارة إلى أنّ القارة الإفريقية تضم العديد من الثقافات وتشمل بيئات متعدّدة، ومن هنا يمكن أن ننظر إلى الأدب الإفريقي في كليته كأدب قارة، أو في جزئيته كأدب إقليم معيّن أو منطقة معينة في القارة. أما أن نسحب الجزء على الكل فهذا ما لا يقبله العقل والواقع»[4].

**ب. عند المستفرقين:**

هناك إجماع عام بين جمهور المستفرقين، إذ عرفوا الأدب الأفريقي على أنه أدب المناطق التالية لجنوب الصحراء الكبرى حتى التقاء القارة بالمحيط في أقصى الجنوب. وقد نشأ هذا الإجماع عن أقوال سابقة لهم على أن أفريقيا قارة تقسمها الصحراء الكبرى إلى قسمين مختلفين كل الاختلاف قسم يقع

[1] محمد حمود، الأدب الافريقي، مؤسسة المجد للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص 5.

[2] إزكيال مفاليلي، صورة إفريقيا، دار النشر فابر وفابر، ط1، 1962، ص 45.

[3] لورينس كورباندي كوديس، دراسة في الأدب الإفريقي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2019، ص 18.

[4] لورانس كورباندي كوديس، المرجع نفسه، ص 46

شمالها ويسمونه إفريقيا العربية الإسلامية. والآخر يقع جنوبها ويسمونه بإفريقيا السمراء أي جنوب الصحراء «أو أفريقيا السوداء"[1] من الواضح أن هذه القسمة الأخيرة جغرافية طبيعية عند مجمل المستفرقين أمثال " جيرالدمورGerald Moor ".

كما يرى "هاينز يان Heinz Jahn" ان الأدب الإفريقي هو كل ما كتبه وأبدعه أدباء إفريقيا كقارة دون السقوط في تمفصلات الجغرافيا العنصرية، وقد أشار إلى ذلك في قوله: "انه لا يجوز تطبيق منهجية ارتباط الثقافة بالعرق لاعتبارها من القيم المطلقة " رافضا التفسير الجغرافي.[2]

وموضحا الفرق بين الثقافة الزنجية وافريقيا الزنجية على انهما مصطلحان لا يتفقان في المعنى والواقع، فالأولى تعني ثقافة موقع والثانية تعني عرق اصحاب الموقع ونجد نوع من العنصرية في كلامه حيث ان إفريقيا كقارة ليست كلها زنوج فشمالها عرب وبربر.[3]

لم يكن العرب أبناء الشمال في عزلة عن الزنوج طوال القرون التي تمت فيها السيطرة على شطري القارة ولم تكن هذه الصحراء الكبرى حائلا دون دخول أفريقيا السوداء في الإسلام إبان العصور الوسطى. ومع ذلك إذا صح أن نأخذ بالقسمة الجغرافية السابقة فلا يمكن الأخذ بها على صعيد الأدب لأن انتشار الثقافة العربية والإسلامية جنوب الصحراء الكبرى وتغلغلها في ثقافات الشعوب الزنجية هناك، فقد شكل مؤثرا مهما من المؤثرات في الثقافة والأدب، وهو ما تبين اليوم بعد تحرير القارة واستقلالها وبداية البحث في تراثها الشعبي بصفة خاصة. ومن جهة أخرى لا يمكن أن نسحب الجزء على الكل فنقول إن الأدب الأفريقي يبدأ بعد الصحراء الكبرى ونخرج منه الأدب العربي في الشمال، بحجة أن أفريقيا الشمالية منطقة أدبية منفصلة تمام الانفصال، تنتمي إلى العالم الإسلامي والعربي كما قال المستفرق الإنجليزي جيرالدمور[4].

1 علي شلش، الأدب الإفريقي، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، مطبعة عالم المعرفة، الكويت، 1993، ص11.

[2] زهير بختي، في الرواية الإفريقية" تجليات عرقية في الرواية الافريقية"، ط1، ص62.

[3] عبد الرؤوف بابكر السيد، الأدب الإفريقي وإشكالية المصطلح، دار افاتار للطباعة والنشر، 2018، ص17

[4] نقلا عن جيرالدمور، سبعة أدباء من افريقيا، ترجمة علي شلش، القاهرة، كتاب الهلال، 1977.

ومن هذا نرى أن الأدب الإفريقي يعد واحداً من أهم المجالات الأدبية الحية في العالم، ويجسد تراثاً حافلاً بالمعاني والمساهمات الثقافية الرائعة[1].

على ضوء هذا نجد أنه تم تعريف الأدب من خلال الطريقة التي نشأ بها، فمثلا عندما بسط الاستعمار الأوربي في القرن التاسع عشر سيطرته على القارة الإفريقية قسمت القارة تقسيمات تعسفية إلى مناطق النفوذ السياسي، فالناطقون بالفرنسية" الفرانكوفونيون" قدموا كثيرا من آداب فرنسا وقد تميزوا بكتابة الشعر. والناطقون بالإنجليزية " الانجلوفون" سلكوا مسلك الإنسان الإنجليزي في هذا المجال وقد تميزوا بكتابة الرواية. وفي هذا الصدد يقول الدكتور المرحوم كوامي نكروما إنه حتى التعبير الأدنى الذى يمكن إشباعه عبر الجهد والتضحية، كان محصورا ضمن حدود النظام الاستعماري. أي أن كل واحد منهم وجد نفسه حسب موقفه في مكانه وزمانه تلك هي الطريقة التي نشأ فيها هذا الأدب[2].

## 2.1. أهمية الأدب الافريقي:

الأدب الإفريقي هو نوع أدبي يعبّر عن تجارب وتطلعات الشعوب الإفريقية، فهو يعد مرآة لواقع سياسي واجتماعي معقد، يعكس التحديات التي مرت بها القارة[3]، مثل الاستعمار، العبودية، والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية، فضلاً عن مساعي التحرر الوطني وتكمن أهميته في فهم العلاقة بين الثقافات.

### 1.2.1. الأهمية الثقافية للأدب الإفريقي:

تتجلى في عدة جوانب محورية تعكس عمق وثراء التجربة الإنسانية في القارة. إليك أبرزها:

✓ **توسيع الفهم الثقافي:**

يُعتبر من أهم الأدوات لفهم التنوع الثقافي في القارة الإفريقية إذ يعكس اختلاف اللغات، المعتقدات والفنون بين شعوب القارة كما يساعد في فهم تفاعل هذه الثقافات مع بعضها البعض[4] .

---

[1] علي شلش، المرجع السابق، ص 22.

[2] لورانس كورباندي كوديس، المرجع السابق، ص 47

[3] عبد الرؤوف بابكر السيد، المرجع السابق، ص 32

[4] عبد الرؤوف بابكر السيد، المرجع نفسه، ص 32

✓ **مقاومة الهيمنة الثقافية:**

خلال فترة الاستعمار كان أحد الوسائل التي تم استخدامها للمقاومة الثقافية والفكرية فبدأ الكتاب الأفارقة في طرح تساؤلات حول هوية القارة واستعادة الصوت الأفريقي في مواجهة الهيمنة الثقافية الغربية

✓ **التفاعل مع الأدب العالمي:**

الأدب الإفريقي ليس فقط أداة للتعبير عن القضايا الداخلية للقارة، بل أيـضًا جسـر للتواصل الثقافي مع العالم، فلقد ساهم في تطور الأدب العالمي وأثر فيه خاصة في الرواية والشعر[1] .

✓ **التعدد اللغوي والثقافي:**

يكتب الأدب الإفريقي بعدد من اللغات بما في ذلك اللغات المحلية واللغات الاستعمارية كالإنجليزية والفرنسية، ما يتيح فهم العلاقات بين الثقافات المحلية والعالمية وكيف يكون لغة مشتركة للتفاعل بين ثقافات متعددة[2] .

✓ **تجسيد الهوية الثقافية الإفريقية**

الأدب الإفريقي يعكس القيم والعادات والتقاليد التي تُشكل هوية الشعوب الإفريقية. من خلاله، يتم الحفاظ على الذاكرة الجماعية للمجتمعات، سواء من خلال الحكايات الشعبية أو الأساطير أو الروايات المعاصرة.[3]

✓ **الحفاظ على التراث الشفهي**

الكثير من الأدب الإفريقي نابع من تقاليد شفهية قديمة. عبر التدوين، تم الحفاظ على هذا التراث الذي يتضمن أمثالًا، أغاني، وحكايات كانت تُنقل من جيل إلى جيل .

[1] عبد الرؤوف بابكر السيد، المرجع نفسه، ص 33

[2] عبد الرؤوف بابكر السيد، المرجع نفسه، ص 34

[3] محمد طيفوري، لسان نقل آلام و آمال قارة للعالم، الادب الافريقي، المجلة العربية ، 2019 ، ص4.

الأدب الإفريقي يمثل نقطة تقاطع غنية لفهم العلاقات الثقافية بين القارات، إذ يعكس التنوع الثقافي، الصراع، والتعاون بين مختلف المجتمعات، ويتيح للقراء فهما أعمق ليس فقط للتجربة الإفريقية، بل للتاريخ العالمي أيضًا.[1]

### 2.2.1. الأهمية التاريخية للأدب الافريقي:

الأدب الإفريقي له أهمية تاريخية كبيرة، تنبع من دوره نذكر من أبرزه :

- ✓ **الاستعمار والتحرر:**

الأدب الإفريقي يعد أداة لفهم تاريخ الاستعمار في القارة وآثاره على الأفراد والمجتمعات. من خلال الروايات، القصص، والمسرحيات، تم تناول موضوعات مثل العبودية، التمرد، والتحرر، ما يساعد على فهم العلاقات بين الثقافات في سياق التاريخ الاستعماري وما بعد الاستعماري .

- ✓ **مقاومة الاستعمار وتعرية آثاره:**

كثير من الكُتّاب الأفارقة تناولوا في أعمالهم معاناة شعوبهم من الاستعمار، وسلطوا الضوء على الظلم والاستغلال ومحاولات طمس الهوية. مثل هذه الأعمال كانت أداة نضال ثقافي وفكري.[2]

- ✓ **وسيلة لفهم التحولات السياسية والاجتماعية:**

الأدب الإفريقي يوثق تحولات المجتمعات من العبودية إلى الاستعمار ثم إلى الاستقلال، كما يعكس قضايا مثل الفقر، التمييز، النزاعات القبلية، والهجرة .

2. **الخصائص الفنية للأدب الإفريقي:**

الخصائص الفنية التي تميّزه عن غيره من الآداب تبرز في:[3]

[1] عبد الرؤوف بابكر السيد، الأدب الإفريقي وإشكالية المصطلح، دار افاتار للطباعة والنشر، 2018، ص 38.

[2] عبد الرؤوف بابكر السيد، المرجع نفسه، ص 43

[3] عبد الرؤوف بابكر السيد، المرجع نفسه، ص 45

✓ **المزج بين الشفهي والمكتوب:**

يُعد امتدادًا للتراث الشفهي، لذلك غالبًا ما تجد في النصوص المكتوبة عناصر من الحكاية الشفهية، مثل التكرار والإنشاد والأمثال الشعبية للاستفادة منها في بناء أعمال الكتاب.

✓ **توظيف الرموز والأساطير:**

يعتمد هذا الأدب كثيرًا على الرمزية مستفيدًا من الحيوانات، الأرواح، والرموز الطبيعية لتوصيل أفكاره فتُستخدم الأسطورة كأداة لفهم الواقع أو لتفسير قضايا الهوية والانتماء.

✓ **البساطة في اللغة وعمق في المعنى:**

يعتمد على لغة واضحة وقريبة من الحياة اليومية، لكنها تُخفي وراءها عمقًا فكريًا وثقافيًا كما يوظف الحوار بكثرة، ويعتمد على السرد المباشر وأحيانًا لمحاكاة أسلوب الحكاية الشفهية .

✓ **التركيز على القضايا الاجتماعية والسياسية:**

يتناول الأدب الإفريقي قضايا مثل الاستعمار، الهوية، العبودية، الفقر، المرأة، الصراع العرقي، والدين ويُستخدم كأداة للنقد الاجتماعي والسياسي خاصة بعد الاستقلال [1] .

✓ **البعد الأخلاقي:**

يُعبر غالبًا عن صوت الجماعة وليس الفرد فقط ويحمل عادة رسائل أخلاقية أو تربوية.

✓ **التعدد اللغوي والثقافي:**

يُكتب الأدب الإفريقي بلغات مختلفة: لغات محلية (مثل السواحلية، الزولو)، أو بلغات الاستعمار (كالفرنسية، الإنجليزية، البرتغالية)، مما يخلق تنوعًا أسلوبيًا وفنيًا.

تميز الأدب الإفريقي بالخصائص الفريدة التي تميزه عن الأدب العالمي الآخر مع أنه يحمل معه بعض العناصر المشتركة، مثل الأسلوب الوصفي والنظرة الانطباعية، ويتميز بأسلوبه الهادف والمستنير

[1] عبد الرؤوف بابكر السيد، المرجع السابق، ص 45

للواقع الاجتماعي والتاريخي. وفي هذا الصدد، يمثل الأدب الإفريقي نقطة تقاطع بين الأدب العربي والأدب العالمي، حيث يشكل تعدد اللغات والمواضيع والتقاليد محورًا رئيسيا للتفاعل والتأثير بين الأدب الإفريقي وبقية الآداب في العالم[1].

فلطالما نظر إلى أدب جنوب إفريقيا على أنه يفتقر للبنية الفنية، ولا يتسم بالتماسك الفني والأسلوبي، ورسمت حوله مجموعة من الأفكار الجاهزة التي كان يسير وفقها، ولم يتمكن من التخلص منها .لقد تضافرت العديد من العوامل والمؤثرات في تشكيل هذا النوع من الأدب، حيث «جاء أدب إفريقيا المكتوب من منطقة "التشابك" بين ثلاث ثقافات هي: الإفريقية والعربية الإسلامية والغربية.

أما الأدب الذي جاء من المنطقة التي اختلطت فيها الثقافتان الإفريقية والإسلامية فسمي الأدب الأفروعربي، وأما الأدب الذي جاء من المنطقة التي اشتبكت فيها الثقافتان الإفريقية والغربية فسمي الأدب الإفريقي المستحدث. وعليه فان الأدب الإفريقي نوع أدبي مهجن أسهمت في تشكيله العديد من الثقافات العربية والغربية منها، هذا ما جعله نوعا أدبيا مستحدثا، ذلك انه يمزج " بين الخصوصيات الفنية لحضارات مختلفة، وامتزاجه مع الحضارة الغربية جعله يدرج ضمن المفهوم والغربية[2].

وقد أدت هذه التلقائية إلى اختفاء العقلانية والسفسطة اللتين تتخمان الأدب الأوربي. تتبع الرؤى والآراء والأساليب تغليب الذات على الموضوع، إذ أن معظم آثار هذا الأدب عبارة عن تجارب.

3. **تأثير الاستعمار على الأدب الإفريقي:**

من بين أبرز مظاهر تأثير الاستعمار على الأدب الإفريقي نجد:

- ✓ **تغيّر اللغة الأدبية:**

لقد فرض الاستعمار على الشعوب الأفريقية استخدام لغاته كالإنجليزية، الفرنسية والبرتغالية وهذا ما أدّى إلى ظهور أدب أفريقي مكتوب بلغات غير إفريقية . ولهذا فإن الكثير من الأدباء الأفارقة كتبوا

[1] محمد طيفوري، المرجع السابق، ص5.

[2] نقلا عن عاموس توتولا،شارب نبيذ النخيل، دار النشر فبر و فابر ، لندن، 1952، ص 89.

أعمالهم بلغة المستعمر، إما لإيصال رسالتهم للعالم أو لأنها اللغة الرسمية في بلدانهم بعد الاستقلال [1]

✓ **الأدب كأداة للمقاومة:**

أصبح الأدب وسيلة لمقاومة الاستعمار فكريًا وثقافيًا، من خلال فضح ممارساته، وتأكيد الهوية، والدعوة للتحرر ومن الأمثلة نجد روايات تشينوا أتشيبي مثل "الأشياء تتداعى" التي ناقشت انهيار البنية التقليدية بسبب الاستعمار[2].

✓ **تشويه الصورة الثقافية:**

الاستعمار سعى لتشويه صورة الثقافة الإفريقية، ووصفها بالبدائية فجاء الأدب كردّ على هذه التصورات مسلطًا الضوء على عمق الحضارات الأفريقية وقيمها[3].

✓ **تحوّل في الموضوعات:**

قبل الاستعمار، ركّز الأدب الإفريقي على القيم المجتمعية والأساطير .بعد الاستعمار، ظهرت موضوعات مثل الهوية، الانتماء، التهجير، الصراع بين التقاليد والحداثة، ونتائج الاستعمار[4].

✓ **أدب ما بعد الاستعمار**

يُعرف هذا النوع بالأدب الذي كُتب بعد نيل الدول الإفريقية استقلالها، وغالبًا ما يعبّر عن خيبة الأمل من النخب الجديدة، والفساد، واستمرار الهيمنة الغربية بشكل غير مباشر ثقافيًا أو اقتصاديًا[5].

[1] كاماراد في الأدب الافريقي، مذكرة ماجتير ، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2017، ص35

[2] كاماراد في الأدب الافريقي، المرجع نفسه، ص37.

[3] كاماراد في الأدب الافريقي، المرجع السابق، ص38

[4] كاماراد في الأدب الافريقي، المرجع السابق، ص36

[5] كاماراد في الأدب الافريقي، المرجع نفسه، ص37

# الفصل الأول

# صورة الرجل الأبيض

يشكل الأدب الافريقي أرضية خصبة لدراسة الوعي الأدبي إزاء التحولات الأدبية عبر العصور التاريخية المختلفة التي شهدتها القارة، وعلى رأسها تجربتها مع الاستعمار الأوربي والغربي والذي شكل معها تصادما حضاريا ثقافيا زادت حدته ببروز الصور المركزية للرجل الأبيض في المتخيل الأدبي الافريقي لذا اخترنا أن نرى منه الوجه والوجه الآخر في مدى تأثيره على الأدب الإفريقي.

ومن خلال هذا الفصل سنتطرق الى دراسة لنشأة الرجل الابيض في الأدب الإفريقي مجزأة لثلاثة مباحث كما يلي:

المبحث الأول: نشأة صورة الرجل الأبيض

المبحث الثاني: ثنائية المستعمر والمستعمر

المبحث الثالث: الرؤى الرمزية للرجل الأبيض

## المبحث الأول: نشأة صورة الرجل الأبيض

لقد تجلت صورة الرجل الأبيض في الأدب الافريقي تبعا للجانب التاريخي والثقافي والتي أبداها المستعمر في افريقيا عامة وفي الأدب الافريقي خاصة.

ونظرا لمدى تأثيرها الواسع ارتأينا أن يشمل هذا المبحث دراسة لهذه الصورة بمطلبين، أولهما يتمثل في الخلفيات التاريخية كمطلب أول والثاني يمثل الخلفيات الثقافية في المطلب الثاني.

### المطلب الأول: الخلفيات التاريخية

في مجاهل أفريقيا، حيث الرجل الأسود الذي قاده حظه التعس ليكون أشبه بحدوة حصان الرجل الأبيض، ولسنوات طويلة أستعبد الأفارقة السود على يد الغربيين، واستخدموا كالحطب في موقد بناء حضارة الغرب، سواء باستعمار بلادهم وانتزاع ثرواتها، أو باقتيادهم مكدسين أكوامًا في أقبية السفن القافلة نحو العالم الجديد. وفيما يخص الأدب فرأينا أنها أحد أهم صور التراكم الحضاري للأمم وأنها المرآة التي تعكس التراث الإنساني رغم تجلياته المختلفة[1].

إذ يعدّ الجانب التاريخي لاستحضار صورة الرجل الأبيض في الأدب الإفريقي من المحاور الأساسية لفهم أغلبية التمثيلات الأدبية التي جسدها بغض الكُتاب الأفارقة في أعمالهم. فلا يمكن فصل هذه الصورة عن التجربة الاستعمارية التي مرّت بها القارة منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، والتي خضعت أجزاء شاسعة منها للاحتلال الأوروبي، ولا سيما الفرنسي والبريطاني والبلجيكي. ولم يشكل هذا الاستعمار تغيّرًا سياسيًا واقتصاديًا فقط بل تعدى ذلك نحو الصدمة الثقافية والتشويه الهوياتي العميق للثقافة الافريقية[2].

إذ بنيت العلاقة بين المُستعمر والمستعمَر في أغلب الأحيان على علاقة القوة القائمة على الهيمنة والسيطرة للمُستعمِر، فقام الرجل الأبيض بتجسيد الوعي الجماعي الإفريقي تحت صورة المستعمِر النمطية التي ترجح التفوق

[1] عبد الحليم حنيفة، مقال الوجه الأبيض للقارة السمراء، بوابة روز اليوسف، 2018

[2] - عبد الرحمن بشناق، الاستعمار الأوروبي لإفريقيا، 2016، ص22.

العسكري والتقني، لكنه في الوقت ذاته كان يُنظر إليه من زاوية أخلاقية مغايرة ليصوره العديد من الأدباء كرمز للغطرسة والعنصرية1.

فارتبطت صورة الرجل الأبيض بالميّزات الإفريقية منذ بدايات الاتصال المباشر مع القوى الأوروبية الاستعمارية، فكان بذلك رمزًا لمظاهر الغزو والسيطرة الكلية التي فرضتها حملاته الاستعمارية منذ بداية الاستكشافات الكبرى.

فكانت إفريقيا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، واحدة من الأراضي المفضلة لروايات المغامرات الفرنسية من جول فيرن إلى هنري دي مونفريد مرورًا ببيير لوتي. وقد مثلت الحرب العالمية الأولى محطة حاسمة في تطور النظرة الأوروبية عامة والفرنسية خاصة إلى إفريقيا وفي ظهور تعبيرات أدبية جديدة مرسخة للقارة. ففي عشرينيات القرن الماضي، عقب كتاب "الأنطولوجيا الزنجية" لعام 1921م الذي تم إصداره من دار بوشيه شاستيل لبليز سيندرار أبولينير وبيكاسو ، استولت كتابات السرياليون على موضوع البدائية السوداء والزخارف التي نقلها الأدب الاستعماري.2

فأظهر هذا الأدب الإفريقي المبكر في حقبة ما بعد الاستعمار كيف أن الرجل الأبيض كان عاملًا أساسيًا في تفكيك البُنى الاجتماعية والثقافية الإفريقية من خلال اعتماده على فرض أنظمة تعليمية جديدة، والقيام بالترويج للثقافة الأوروبية الغريبة عن السياق المحلي، مع محاولة محو اللغات والتقاليد الإفريقية. ولهذا، كثيرًا ما ارتبطت صورة الرجل الأبيض في هذه المرحلة بصورة الغازي أو المُفسد، كما في أعمال نوغوغي واثيونغو و الذي اعتبر الاستعمار أحد أخطر أشكال السيطرة، بعد أن تم فرض لغة المستعمِر وسيلة للهيمنة على الفكر الافريقي"3.

**المطلب الثاني: الخلفيات الثقافية:**

نرى أن حركة الاستعمار بدورها قد أترث أيضا في البنية الثقافية والاجتماعية للشعوب الإفريقية، حيث لم يقتصر دور الرجل الأبيض على كونه غازٍ عسكري، بل تجلّى أيضًا كمبشر ديني ومدني متحضر، ساعيًا إلى تحويل المجتمعات الإفريقية وفق نموذج الحضارة الغربية، معتبرا الثقافات الإفريقية بدائية ولا بد من تهذيبها، لذا أعتبر الجانب الثقافي من بين الاسباب التي أسهمت في نشوء صورة الرجل الأبيض في الأدب الإفريقي امتدادًا لتأثيره التاريخي الاستعماري، لكن هذا الأخير تجاوز البعد السياسي ليغوص في عمق التفاعل بين الهويات والتصورات الذاتية، وبين تمثيلات الآخر فالثقافة الاستعمارية

[1]- عبد الرحمن بشناق، مرجع سابق، ص23.

[2] جمال الجلاص، قرن من الأدب الإفريقي الأسود "من الأدب المستعمر إلى الأدب الغازي"، تونس، 1 يناير 2024، الموقع alfaisalmag.com

[3] نغوجي واثيونغو، تلخيص العقل، سياسة اللغة في الأدب الافريقي، نيروبي، منشورات افريقيا التعليمية، 1986، ص16.

التي لم تُفرض فقط عبر السلاح بل ولجأت لها عبر المدرسة والكنيسة والإعلام.[1] وهذه الأدوات أنتجت خطابًا روّج لتفوق الرجل المستعمر وعالميته مقابل دونية الإفريقي ومحليته. كما ساهم الخطاب نفسه في المقابل بتكوين صورة سلبية للرجل الأبيض في الأدب الإفريقي مصورا إياه كعنصر ثقافي دخيل يحمل مشروعًا قيميًا مغايرًا يُنظر إليه بريبة.

ولقد شهدت هذه الحقبة بروز العديد من الكتابات الإفريقية التي تقوم على تمثيل الرجل الأبيض كأداة تغريب ثقافي، يتجاهل الخصوصيات المحلية ويسعى إلى تذويبها في نموذج ثقافي واحد. فنأخذ على سبيل المثال، في رواية "الصفوة"[2] يُبرز الكاتب الغاني التوتر الثقافي القائم بين الحداثة المفروضة من الخارج، وبين التقاليد الإفريقية المتجذرة في وعي الشعب، فيشير إلى أن الحداثة لم تكن خيارًا حرًا بل نمطًا ثقافيًا قسريًا جاء محمّلًا بمفاهيم الهيمنة، ليقوم بعدها الأدباء الأفارقة بالتقاط هذه التغيرات وإعادة صياغتها في رواياتهم وقصائدهم بوصف الرجل الأبيض ككائن غريب محمل بثنائية الخير والشر، ناقلًا لبعض معالم المدنية الحديثة من جهة ومدمراً لثقافات الشعوب المستعمرة وهوياتها من جهة أخرى.

ويمكن أيضا أن نرى هذا التصوير بشكل واضح في رواية "الأشياء تتداعى للكاتب النيجيري تشينوا أتشيبي، التي نُشرت سنة 1958، حيث صور أتشيبي وصول المبشرين الإنكليز وما خلفه من تفكك للبنى الاجتماعية التقليدية. و التي سنتفصل في دراستها في الفصل الثاني[3]

و لقد تعززت هذه الخلفية الثقافية مع حركة "الزنوجة التي أسسها مفكرون أفارقة و فرانكفونيون مثل ليوبولد سيدار سنغور، و التي دعت إلى الاعتزاز بالهوية الإفريقية أكثر خاصة في مواجهة محاولات المسخ الثقافي الذي كان يسعى له الاستعمار الأوروبي[4] .

ويضاف إلى ما سبق أن صورة الرجل الأبيض لم تكن دائمًا سلبية تمامًا إذ حملت في طياتها صبغة إنسانية، خاصة عندما يتم تمثيله كأنه شخص يتخبط في منظومة استعمارية أكبر منه، كما تسردها رواية "قلب الظلام" التي أعاد تفسيرها نقاد أفارقة مثل أتشيبي، معتبرين أن حتى هذه الصورة المتعاطفة التي تقوم بإخفاء العنصرية الضمنية[5].

---

[1]-إدوارد سعيد، الاستشراق، 1978، ص 35.

[2] أرماه أي كوي، الجميلات لم يولدن بعد، لندن، 1968، ص 74.

[3]- تشينوا أتشيبي، الأشياء تتداعى، مجلة ماساتشوستس للنقد الأدبي ، 1958، ص 46.

[4]- نقلا عنسنغور، قصائد الزنوجة، 1948، ص 15-20

[5] أتشيبي تشينوا، صورة افريقيا، العنصرية في قلب الظلام لكونراد، مجلة ماساتشوستس للنقد الأدبي، المجلد18، العدد4، 1977، ص 783.

وبذلك فان الصورة الثقافية للرجل الأبيض في الأدب الإفريقي تُعد نتاجًا لصراع رمزي عميق حول من يملك الشرعية في تمثيل الآخر، ومن يمتلك سلطة الخطاب. وقد وظف الكُتّاب الأفارقة هذه الصورة ليس فقط من أجل نقد الرجل الأبيض بل لإعادة بناء الذات الثقافية الإفريقية وفق تصور متحرر من الاستعمارية الفكرية و لا يمكن إغفال الدور الذي لعبته البعثات التبشيرية هنا في ترسيخ الصورة المزدوجة للرجل الأبيض بأي شكل من الأشكال فهو من جهة جاء مبشّرًا بالمسيحية ومن جهة أخرى كان أداة اختراق سياسي وثقافي ليُلاحظ أن الأدب الإفريقي ما بعد الاستعماري لم يكن مجرد ردّ فعل على الاستعمار، بل كان أيضًا محاولة لإعادة كتابة التاريخ من منظور إفريقي، واستعادة الصوت الذي تم تهميشه لعقود من الزمن.[1]

وبهذا نرى أن نشأة صورة الرجل الأبيض تجل ظهورها بوضوح في الأدب الإفريقي إذ كانت ولازالت

مرتبطة بعوامل تاريخية وثقافية عميقة ما جعلها تأخذ طابعًا نقديًا واضحًا مع تطور هذا الأدب. ثمة حقيقة هامة لابد أن نضعها في الذهن هنا هي وحدة الحياة الثقافية الأفريقية الحديثة، وهذا ما أشار له المستفرق الإنجليزي كلايف ويك "إن الوحدة تكشف عن أن الثورة السياسية والاجتماعية هي التي ألهمت الأدب الأفريقي الحديث".

[1] حيدرة هاجيرة، صورة المستعمر في الأدب الافريقي، جامعة عبد الحميد بن باديس، 2022، ص10

## المبحث الثاني: ثنائية المستعمر والمستعمر

مع تطور الفكر النقدي في القارة الإفريقية، نشأت مفاهيم نقدية متماسكة تناولت العلاقة بين المستعمر والمستعمر، مركزة على أثر هذه العلاقة في تشكيل هوية الإنسان الإفريقي وصورته في الأدب. وقد ساهم منظرو "ما بعد الاستعمار (Postcolonialism) "مثل فرانز فانون في بلورة خطاب نقدي حاد يُحلل العلاقة بين الهيمنة الاستعمارية والمُستعمَرين[1] .

### المطلب الاول: المستعمر ما بعد الاستعمار

تجلت النظرة للمستعمر في صورتين، أحدهما ممثلة بذات مركزية ذات هيمنة استعمارية، في حين تمثلت الأخرى في شكل مشروع تحديث قسري ومسؤولية أخلاقية بطابع مزيف.

### أولا: المستعمر ذو الهيمنة المعرفية

في الفكر ما بعد الكولونيالية، يُنظر إلى المستعمر بوصفه فاعلًا مركزيًا سعى إلى فرض تصوراته عن الذات والآخر من خلال مؤسسات السلطة والمعرفة فبانتهاء الحرب العالمية الثانية ومع تغير خريطة السياسة الدولية واشتعال فتيل الحرب الباردة التي بدت كحلبة صراع للقوى العظمى متمثلة في لاعبين أساسيين، هما الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، طرأت تغيرات جديدة على وجه أفريقيا وامتد تأثير صراع الأقطاب الجديدة إلى داخل القارة لاستقطاب دولها لأي من المعسكرين.

وقد طُرح هذا المفهوم بوضوح في بعض الأعمال خصوصًا في كتاب الاستشراق، حيث بيّن أن أوروبا الاستعمارية لم تكتفِ بالسيطرة على الأرض والموارد، بل سعت إلى إنتاج معرفة تُعيد تشكيل الشرق والجنوب العالميين بطريقة تكرّس التفوق الغربي.

أي أن المستعمر في هذا السياق ليس مجرد محتل عسكري، بل صانع لخطاب معرفي شامل يجعل من ثقافته معيارًا عالميًا للحضارة، ويُصور الشعوب الأخرى بوصفها دونية، جامدة، عاطفية، ولا عقلانية[2].

[1] -فرانز فانون، معذبو الارض1961، نقلا عن الترجمة لسامي الدروبي، بيروت، دار الفارابي،2004، ص25.

[2] سعيد إدوارد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1981، ص 2-3.

هذا التصور النقدي يحوّل المستعمر إلى رمز للسلطة المطلقة التي تحتكر تفسير العالم. وقد أثّر هذا النموذج في مختلف فروع الأدب الإفريقي ما بعد الاستعمار، حيث تم تمثيل المستعمر غالبًا كشخصية ذات نظرة استعلائية، ترفض الاعتراف بثقافة الآخر، وتسعى إلى "تمدينه" بالقوة. كما نجد هذا الطرح في روايات مثل الطريق لوولي سوينكا، حيث يظهر المستعمر كجزء من منظومة عقلانية جافة تُفقد الإنسان صلته بالروح والتاريخ.

في هذا السياق، يُصبح النقد ما بعد الكولونيالي وسيلة لتفكيك هذا المركز الأوروبي، ولإظهار أن ما يُقدَّم كـ"عالمي" في الواقع هو غربي الطابع والهدف. وهو ما شدد عليه غاياتري سبيفاك في مقالتها الشهيرة "هل يمكن للتابع أن يتكلم؟" (1988)، عندما بيّنت أن الخطاب الغربي لا يُتيح للآخر التعبير عن ذاته إلا ضمن حدود يحددها المركز الاستعماري[1].

و بالتالي، فإن فهم المستعمر كمفهوم نقدي يعني إدراكه بوصفه صانعًا للخطاب، وسلطة معرفية تنتج الآخر بحسب تصوراتها، وتُخضعه ثقافيًا حتى بعد نهاية السيطرة العسكرية المباشرة

**ثانيا: المستعمر ذو المسؤولية المزيفة**

جانب آخر من المفهوم النقدي للمستعمر يتمثل في النظر إليه كمشروع تحديثي قسري، يحمل ادعاءات أخلاقية بإنقاذ الشعوب المستعمَرة من "التخلف" أو "الهمجية"، لكنه في الحقيقة كان يخفي خلف هذا الادعاء رغبة في السيطرة والاستغلال.[2]

فكما علم عن الأدب الأفريقي ككل آداب الأمم التي مرت بمراحل التكوين الأساسية والتي بدأت بالنقل الشفهي للحكايات والقصص والملاحم الشعبية المحلية، ومن ثم التدوين الذي تتفاوت عملية إتمامه من أمة إلى أخرى وفقًا لما وصلت إليه من حضارة، وقد حاول في هذا الصدد المستفرقون الأوربيون تتبع الحكي الشفهي في القارة السمراء، فكانت أول محاولة أوروبية جادة لجمع ألوان الأدب الشفهي الأفريقي في عام 1896 أعدها المستغرق الألماني أوجست سيدل في صورة كتاب ضخم تحت عنوان "قصص الأفريقيين وحكاياتهم ، وقد دعا سيدل القارئ في تقديمه للكتاب إلى رؤية الأفريقي المتوحش وتخيله وهو

[1] سبيفاك غاياتري، هل يمكن للتابع أن يتكلم، دراسات ما بعد الكولونيالية، تحرير بيل أشكروفت، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2004، ص 254.

[2] الصادق محمد آدم، قضايا الأدب الافريقي وتحدياته، قضية الزنوج، موقع سودانايل، ص67

يفكر ويشعر ويتخيل وينظم الشعر مثل بقية البشر.[1] وتعتبر محاولات سيدل وما ينهوف وفروبنيوس هي التي لفتت الدارسين إلى التراث الأفريقي بشكل واضح، وذلك بالرغم من وجود محاولات أفريقية مبكرة في هذا المضمار بدأت عام 1843، لكن تلك المحاولات لم تنشط ويشتد عودها إلا خلال الحربين العالميتين، ثم ما تلاها من ثورات الحرية والإستقلال.

وقد تناول فرانتز فانون هذا الجانب في كتابه معذبو الأرض ، حيث حلل كيف أن المستعمر لا يكتفي بفرض سيطرته، بل يحاول إقناع المستعمَر بقبول هذه السيطرة كحتمية حضارية. يرى فانون أن هذا التبرير الأخلاقي للاستعمار هو أحد أكثر أدواته فتكًا، لأنه يجعل الضحية تتماهى مع الجلاد[2]. فالمستعمر يسعى لفرض نموذج حضاري معين، مما يؤدي إلى اغتراب المستعمر عن ثقافته الأصلية ومحاولة تقمص قيم الغازي[3].

فقد اخذ المستعمر في هذا التصور على أنه ليس فقط مستغل اقتصادي، بل و يعتبر منظومة قمعية تُعيد تشكيل العقل الفردي والجماعي للمجتمعات الإفريقية، بحيث تُنتج أجيالًا تتحدث بلغة المستعمر، وتحمل قيمه، وتفكر بمعاييره، مما يؤدي إلى ما يُعرف بالاستلاب الثقافي. وفي الأدب الإفريقي، نجد هذا الطرح واضحًا في أعمال نغوجي واثيونغو الذي اعتبر أن أخطر أشكال الاستعمار هو فرض لغة الآخر، لأن اللغة ليست أداة تواصل فحسب، بل وسيلة لرؤية العالم[4].

كما أن فكرة "عبء الرجل الأبيض" التي روّج لها كبلنغ وآخرون في الخطاب الاستعماري، والتي تفترض أن الرجل الأبيض مسؤول عن "تمدين" الشعوب الأخرى، وُوجهت بنقد لاذع من الكتّاب والنقاد الأفارقة الذين كشفوا نفاق هذا الخطاب الأخلاقي، وأكدوا أن التحديث الاستعماري كان وسيلة لبسط النفوذ، لا لنقل الحضارة[5].

فالأدب الإفريقي ونخص بالذكر أدب ما بعد الاستعمار، التقط هذه المفاهيم وحوّلها إلى مادة فنية. فمثلا في رواية "انتظر حتى يرقص الظلام للكاتب الجنوب إفريقي جون ماكسويل كوتزي، نجد تصويرًا دقيقًا لكيفية تبرير المستعمر للعنف ضد المستعمرين عبر اختلاق تهديدات وهمية لتثبيت شرعية وجوده[6]

[1] عبد الحليم حنيفة، مرجع سابق

[2] فانون فرانتر، مرجع سابق، ص34.

[3]-فرانز فانون، بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، 1952، ص 40.

[4] نغوجي واثيونغو، مرجع سابق، ص 41.

[5] كبلنغ روديارد، عبء الرجل الأبيض و قصائد استعمارية أخرى، ترجمة ابراهيم الدسوقي، دار العين، القاهرة، 2010، ص 11.

[6]-كوتزي جون ماكسويل، في انتظار البرابرة 1980، ترجمة أسامة منزلجي، دار الحوار، دمشق، 2003، ص 66.

بالإضافة إلى ذلك، ساهمت مفاهيم مثل "الآخرية"و"الاستلاب الثقافي "في تشكيل فهم أدق للعلاقة بين الطرفين، حيث صور الأدباء الأفارقة الرجل الأبيض كمرآة لسلطة قهرية تسلب الشعوب ذاتها وتصادر حقها في التعبير عن هويتها. ونجد في دراسة لصورة الرجل الأبيض في الرواية الإفريقية" تحليلاً معمقًا لهذا الإطار النقدي، حيث تناولت بعض الدراسات مظاهر مقاومة الأدب الإفريقي للصور النمطية التي رسخها المستعمر عن شعوب القارة[1].

وبالتالي تظهر المفاهيم النقدية للمستعمر والمستعمر في الأدب الإفريقي بوصفها استجابة فكرية وفنية لما أحدثه الاستعمار من تمزق ثقافي وشخصي، وتعبيراً عن رغبة حقيقية في استعادة الذات المسلوبة أي أن المستعمر يُفهم نقديًا ليس كفاعل بريء أو مصلح، بل كجزء من بنية عنف ممنهجة، وظّفت الأخلاق والتنوير لإخفاء دوافع السيطرة والنهب والتشويه الثقافي قصد الوصول لذلك.

**المطلب الثاني: المستعمَر ما بعد الاستعمار**

كما درسنا سابقا المفاهيم النقدية للمستعمر ذو الهمينة الاستعمارية والأخلاق المزيفة نتطرق الآن لدراسة المستعمر كذات تسعى للتحرر ومنتج للخطاب البديل

**أولا: المستعمَر كذات تسعى للتحرر**

في ظل سقوط الإستعمار الغربي بصورته التقليدية المباشرة، وبداية المدّ الثوري من "القاهرة" إلى "كيب تاون"، إلى أن تم الاعلان في عام 1960 عن استقلال 18 دولة أفريقية، الأمر الذي استرعى أن يطلق عليه الباحثون عام أفريقيا، وامتد موج التحرر الهادر لتنال آخر جيوب الاستعمار الغربي استقلالها في ناميبيا عام 1990، بالتزامن مع بداية تحلل نظام الفصل العنصري - أبارتهيد – بجنوب أفريقيا بداية من عام 1990 إلى أن أجريت انتخابات عامة ديمقراطية 1994 [2].

فبالرغم أن مفهوم "المستعمَر" أحد شكل أعقد المفاهيم في النظرية ما بعد الاستعمارية، إذ لا يُختزل في كونه ضحية للسيطرة، بل مثل كفاعل تاريخي في عملية مقاومة طويلة ومركبة. فطرح المستعمَر في أدبيات فانون وسبيفاك ونغوجي بوصفه ذاتًا مأزومة، تعاني من التمزق بين ثقافتين بين ثقافته الأصلية التي تم تشويهها أو إسكاتها، وثقافة المستعمر التي فُرضت عليه

[1]-بوسالم سميرة، مذكرة" صورة الرجل الأبيض في الرواية الإفريقية"، جامعة قسنطينة، 2019، ص 42.

[2] جمال الجلاص، مرجع سابق.

بوصفها النموذج المتفوق. هذا التمزق يُنتج وعيًا منقسمًا، كما يصفه فانون، حيث "يرى المستعمَر ذاته بعين الآخر"، مما يخلق شعورًا بالدونية[1].

هذا الوعي المشوه لا يعني السكون، بل يدفع نحو المقاومة و التجاوزات ففي الأدب الإفريقي، كثيرًا ما نُصوّر المستعمَر

وهو يعيش لحظة صحوة ورفض، كما في رواية الانتظار للبرابرة لجون ماكسويل كويتزي، التي تُظهر كيف يبدأ الوعي بالتحول حين يبدأ الشخص في مساءلة النظام الذي شكّله[2].

ومن الجدير بالذكر أن بعض الأعمال الأدبية وظّفت المستعمَر بوصفه رمزًا للاستمرارية الثقافية، إذ لا يُنظر إليه فقط كضحية، بل كحامل للذاكرة والتقاليد، كما في روايات أتشوبي وأرماه، حيث تستعيد الشخصيات ارتباطها بجذورها، وتقاوم التحديث القسري من خلال استعادة التاريخ و في هذا الإطار، يُفهم المستعمَر كأنه مفهوم ديناميكي يتحول من الضعف إلى الفعل ومن الاستلاب إلى الاسترداد ومن التبعية إلى الاستقلال الرمزي والمعرفي[3].

**ثانيا : المستعمَر كمُنتِج للخطاب البديل**

واحدة من أهم إسهامات النظرية ما بعد الكولونيالية هي إعادة تعريف المستعمَر بوصفه مُنتِجًا للخطاب، وليس فقط مستهلكًا له إذ بدأ الكُتاب الأفارقة في النصف الثاني من القرن العشرين في توليد نصوص مضادة تُفكك الخطاب الاستعماري وتعيد صياغة الذات الإفريقية من منظور داخلي[4]. هذه النصوص لا تكتفي بالرد على المستعمر، بل تسعى لتأسيس خطاب مستقل يعبر عن هوية مغايرة ومتجذرة.

و في هذا السياق، يلعب إعادة كتابة التاريخ دورًا مركزيًا، حيث يُقدّم المستعمَر روايته الخاصة للوقائع التي لطالما رواها المستعمر.كما نجد في رواية ديسمبر و هو الشهر القاسي للكاتب الجنوب إفريقي أليكس لا غوما، و التي يتم تقديم

[1] فانون فرانتر، مرجع سابق، ص23.

[2] كوتزي جون ماكسويل، مرجع سابق، ص 57

[3] عبد الرزاق مالك الغيني، اللغات المحلية الافريقية، مقالة.

[4] أشكروفت بيل و آخرون، مفاهيم في النظرية ما بعد الكولونيالية، ترجمة ثائر ديب، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2004، ص78.

السرد فيها من وجهة نظر المواطن الأسود، وهو ما يُعد انقلابًا على السرديات البيضاء التي لطالما هيمنت على المشهد الثقافي في إفريقيا الجنوبية[1].

كما أن استخدام اللغة المحلية أو إعادة توظيف اللغة الاستعمارية بطريقة جديدة تُعد من آليات المقاومة الخطابية، وهي فكرة اشتغل عليها نغوجي واثيونغو حين دعا إلى الكتابة بلغات إفريقية، مؤكدًا أن السيطرة على اللغة تُعد أول خطوة نحو استعادة الذات.[2]

عبرت الرواية الأفريقية عن قضايا المجتمع المهمش من طرف الاستعمار فصورت معاناة الانسان في تلك الحقبة. حيث لعب الروائي الأفريقي على اوتار التاريخ والتراث الشعبي الممزوج بالواقع المعاش، فسرد لنا توالي الاحداث قبل وبعد دخول الرجال البيض الى القارة السمراء. فكتب الأفارقة معظم رواياتهم باللغة الأوروبية لتصوير "الأنا" . ولذلك أسبابه ودوافعه لعل أهمها تبسيط الصورة لنقلها إلى العالم، ولتوصيل فكرة الرفض والمقاومة إلى المستعمر[3].

فأخرج "نجوجي واثنجو" روايته "حبة من قمح"، مصورا لنا التمرد والحب. وتدور أحداثها في كينيا أيام انتفاضة "ماو" واستقلال البلاد. لسكان قرية اتخذت حياتهم منحى معاكس مع تطور الزمن. وأخرجت تشيماندا ايديتشي " رواية نصف شمس صفراء" مصورة الكثير من القضايا التي خلفها المستعمر في نيجيريا والتي أخذت شكل ملحمي بارع[4].

كما تعد رواية "العودة إلى الوطن" للروائية "ياجياسي" من غانا التي صورت فيها واقع العبودية أثناء الوجود الانجليزي . وكتب "دفيد ديوب " رواية "شقيق الروح " (2018) والتي عالج فيها فصولا واسعة عن الاستعمار حيث تصور مواجهة السنغاليين للألمان حين جندتهم فرنسا في الحرب العالمية ووضعتهم في الصفوف النارية الأولى. وهي تروي قصة الراوي وهو جندي أصيب اثناء المواجهة. وهذه الرواية حصدت جائزة البوكر العالمية.[5]

[1] لا غوما أليكس، ديسمبر هو الضهر القاسي، ترجمة محمود عبد الواحد، دار المأمون، 1985، ص91.

[2] عبد الرزاق مالك الغيني، مرجع نفسه.

[3] محمد سعيد القن، مدخل سيسيولوجي للأدب الافريقي، دراسة في أعمال وولي سوينكا، ص10.

[4] إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص175.

[5] عبد وزان، الرواية الافريقية تحتل المشهد العالمي، جريدة الاندبندنت العربية، صفحة الثقافة.

## المبحث الثالث: الرؤى الرمزية للرجل الأبيض

يتحدث هذا المبحث عن الرؤى الرمزية للرجل الابيض بين مطلبين، يشتمل مطلبه الاول على المستعمر كرمز للهيمنة الحضارية أما مطلبه الثاني فيتكلم عن الإزدواجية الاخلاقية للمستعمر.

### المطلب الأول: الرجل الأبيض رمز الهيمنة الحضارية والاستلاب الثقافي

تظهر صورة الرجل الأبيض في هذا المطلب بين مظهرين، مظهر الرجل الأبيض وهيمنته الحضارية أو استيلابه الثقافي.

#### أولا: الرجل الأبيض والهيمنة الحضارية

في الأدب الإفريقي ما بعد الاستعمار، يُصور الرجل الأبيض في كثير من الأحيان بوصفه رمزًا للهيمنة الحضارية التي لا تقتصر على الاحتلال العسكري، بل تمتد إلى عمق البنية المعرفية والثقافية للمجتمعات الإفريقية. هذه الهيمنة ترتكز على فرض نموذج حضاري غربي باعتباره "المعيار الأعلى" الذي يجب أن تسعى الشعوب الأخرى إلى محاكاته. وتُعبّر عن هذه الرؤية رمزيًا من خلال حضور الرجل الأبيض في الأدب بوصفه حاملاً للحداثة والقانون والتقنية، لكنه في العمق يمثل تهديدًا لمكونات الهوية الثقافية الإفريقية.

إذ يظهر الرجل الأبيض كقوة هادئة لكنها حاسمة في تفكيك البنية الاجتماعية للعشيرة الإفريقية. فبعكس الصورة النمطية للمستعمر العنيف، يُصوَّر التبشير المسيحي والبعثات الأوروبية كأدوات رمزية لنزع الشرعية عن الثقافة المحلية، من خلال بث الشك في القيم الروحية والاجتماعية التي قامت عليها المجتمعات الإفريقية لقرون. وهنا يظهر الرجل الأبيض كرمز رمزي للسلطة المعنوية، لا السياسية فقط، وكسلطة تُخضع الذات الإفريقية في عمقها المعنوي.

فإذا استثنينا الاسترقاق وحرمان الإنسان من حريته. ربما كان القضاء على المحيط الثقافي والحيلولة دون نمو الانسان الافريقي نموا روحيا وفكريا أصيلا ومتوازنا هي اهم الجرائم التي ارتكبها الاستعمار في القارة السمراء، إن خطورة نزع الإنسان الإفريقي من محيطه واستئصاله من قوميته لها أثر كبير على الادب القومي. فأي بلد عاش ذلك العنف يمكنه أن يسترجع سيادته واقتصاده وجغرافيته، لكن يصعب عليه استعادة موارده الأدبية والثقافية وتقاليده وروح قوميته التي هدمها المستعمر. ولا يستطيع تأميم العقول التي امتصت قيما اجنبية. ولا الأقلام التي تكتب بغير اللغة المحلية[1]

[1] إسماعيل العربي، روائع الأدب العالمي، ج1، ص162

ومنه يمثل هذا الطرح نقطة انطلاق لقراءة نقدية تُعيد النظر في العلاقة بين المعرفة والسلطة. فالرجل الأبيض لا يظهر فقط بوصفه محتلًا، بل كمُحتكر لمعنى "الحضارة"، ما يجعل الشخصية الإفريقية تدخل في أزمة هوية، حيث تبدأ في النظر إلى ذاتها من منظور الآخر. هذا ما تناوله إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق"، حيث أوضح أن الغرب لم يكتفِ باحتلال الشرق ماديًا، بل أعاد صياغته معرفيًا وثقافيًا، وأنتج خطابًا جعل من ذاته مركزًا ومن الآخر هامشًا[1].

وفي الأدب الإفريقي، لم يكن هذا الوعي محايدًا، بل كان نقديًا ومقاومًا، حيث سعى الكتاب إلى تفكيك هذه المركزية البيضاء وكشف التناقض بين خطاب التنوير الغربي وممارسات الاستعمار. ولذا، فإن الرجل الأبيض يظهر بوصفه تجليًا للهيمنة المعرفية التي تُعيد تشكيل الآخر في صورته، وتقوض بذلك إمكانيات التعبير الذاتي والثقافي للشعوب الإفريقية. إذ أن البلدان الافريقية التي تتحدث اللغة المحلية منعها المستعمر من النمو والتطور رغم غزارتها، بالإضافة الى فقدانها مقوماتها الروحية كالعادات والتقاليد حيث اصبحت تعاني انقسام حقيقي في الهوية.[2]

وهذه المشكلة طرحها الكاتب الغاني غبريال اوكرا" والشيخ "حميدو كان"، فقد عالج الأول في قصته "الصوت الغموض والاضطراب الذي وجد فيه المجتمع في مغامرة دائمة بين التجديد والبحث غير المجدي عن الماضي والتقاليد الزائلة. وفي هذه القصة ناتقي بمثقف شاب اسمه اكولو تشبع بالقيم الثقافية الغربية، لكنه مع ذلك ضل وفيا للتقاليد القومية. ونصب نفسه محاميا ومدافعا عن الواقع المحلي والتقليدي. وتصطدم مع شاب نشأ في الثقافة الغربية، وينتمي الى البرجوازية الإقطاعية فنتج صراع بين الاتجاهين فمات بطل القصة لكن اقواله وأفعاله مازالت توقظ الجماهير.[3]

**ثانيا: الرجل الأبيض كأداة للاستلاب الثقافي وفقدان اللغة**

ترتبط رمزية الرجل الأبيض في الأدب الإفريقي أيضًا بفكرة الاستلاب الثقافي، وهي العملية التي يتم من خلالها فصل الإنسان عن هويته الثقافية واللغوية، واستبدالها بنموذج استعماري يُفرض بالقوة الناعمة أو المباشرة. وتُجسد هذه الرؤية من خلال رموز متعددة في النصوص الأدبية، أهمها اللغة والتعليم والممارسات اليومية التي تتحول تدريجيًا إلى أدوات لاكتساب الهوية الاستعمارية. إذ تُقدَّم اللغة الاستعمارية كالإنجليزية والفرنسية ليس فقط كوسيلة للتواصل، بل كأداة رمزية لفرض تصور معين عن العالم، يُقصي اللغة الأم والثقافة المحلية، ويجعل من الانتماء للمنظومة الغربية شرطًا للاعتراف

[1] سعيد، إدوارد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق. ترجمة كمال أبو ديب، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1981، ص. 11

[2] إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص 164.

[3] إسماعيل العربي، مرجع نفسه، ص 170.

بالإنسان[1].

وهكذا، يظهر الرجل الأبيض بوصفه رمزًا للسلطة اللغوية، أي القدرة على تحديد ما هو شرعي ومقبول، وما هو دوني ومتخلف. فالمدرسة الاستعمارية مثلًا لا تدرّس اللغة فقط، بل تُدرّس الرؤية الغربية للعالم، وتُقصي السرديات المحلية باعتبارها "أسطورية" أو "غير علمية."[2]

ويُلاحظ أن هذا الطرح تجلى في كثير من الروايات التي تناولت الجيل الأول من المتعلمين الأفارقة، والذين يجدون أنفسهم منقسمين بين الولاء لقيمهم الأصلية، والانجذاب إلى الثقافة الأوروبية التي تُمنحهم الاعتراف والمكانة. وهنا، تصبح شخصية الرجل الأبيض حاضرة حتى في غيابها، لأنها تُمثل النموذج المتخيل الذي يسعى بعض الشخصيات إلى تقليده، في حين تسعى شخصيات أخرى إلى التمرد عليه[3].

كما أن الاستلاب الثقافي في الأدب الإفريقي لا يُفهم فقط بوصفه نتيجة قهر مباشر، بل كعملية رمزية ذات أبعاد نفسية وفكرية عميقة، حيث يشعر الإنسان الإفريقي بأنه بحاجة إلى "التبيّض الثقافي" ليكون مقبولًا في عالم حدده المستعمر. ولذا، فإن رمزية الرجل الأبيض هنا تتجاوز جسده، لتصبح نموذجًا ذهنيًا يُعاد إنتاجه داخل العقول والقلوب.

## المطلب الثاني: الرجل الأبيض رمز للازدواجية الأخلاقية والتناقض الحضاري

يقع دور الرجل الأبيض في الأدب الافريقي بين الواقع الانساني والممارسة الاستعمارية من جهة، ومن جهة أخرى كرمز للتناقض الحضاري وانهيار المركزية الغربية وهذا ما سيناقشه المطلب الحالي.

### أولا: الرجل الأبيض بين الخطاب الإنساني والممارسة الاستعمارية

يتجلّى في الأدب الإفريقي تصوير رمزي للرجل الأبيض بوصفه تجسيدًا حادًا للازدواجية الأخلاقية التي ميّزت الخطاب الاستعماري الغربي. فقد قدم المستعمر نفسه على أنه حامل للتمدين، والعدالة، والتنوير، بينما كانت أفعاله على الأرض قائمة على النهب والعبودية والقمع الوحشي. هذه المفارقة بين الخطاب والممارسة تُعد من أبرز الثيمات الرمزية في الأدب

[1] حيدرة هاجيرة، مرجع سابق، ص25.

2 واثيونغو، نغوجي، مرجع سابق ص. 28.

[3] حيدرة هاجيرة، مرجع نفسه، ص 26.

الإفريقي، حيث تبرز شخصية الرجل الأبيض ككيان تناقضي، يقول شيئًا ويفعل نقيضه[1].

في رواية "الانهيار" للكاتب النيجيري فلورا نوانبا، يظهر المستعمر الأوروبي في صورة القائد الأخلاقي الذي يضع القوانين ويحكم بين الناس، لكنه في الواقع ينتهك تلك القوانين حين تتعارض مع مصالحه الاقتصادية والسياسية. وهكذا يُستخدم الرجل الأبيض كرمز للأخلاقيات المتحيزة، التي تُعلِن المبادئ وتُخالفها في آن واحد، مما يكشف زيف الخطاب الحضاري الاستعماري.

ويُعزز هذا الطرح أيضًا ما ورد في رواية "قلب الظلام" لجوزيف كونراد، رغم كون المؤلف أوروبيًا، لكنه كشف المفارقة بين نوايا "نشر الحضارة" ووحشية الاستعمار في الكونغو. فالرجل الأبيض هناك، رغم تعليمه وثقافته، يتحول إلى

أداة دمار ونهب، ما يجعله رمزًا لانهيار الحضارة الغربية حين تنفصل عن القيم الحقيقية وتُوظف لأغراض الاستغلال[2].

هذه الصورة المزدوجة تدفع القرّاء إلى مساءلة الخطاب الغربي المهيمن، وإعادة تقييم مفاهيمه عن "التقدم" و"التمدن"، فالرجل الأبيض في هذا السياق ليس إلا قناعًا لسلطة مادية ترتدي لبوس القيم العليا، ما جعله في الأدب الإفريقي رمزًا للمفارقة الحضارية.

**ثانيا: الرجل الأبيض رمز التناقض الحضاري**

يُقدّم الأدب الإفريقي ما بعد الاستعمار تصورًا رمزيًا للرجل الأبيض باعتباره تجليًا لتناقض الحضارة الغربية، التي ادعت العقلانية والعدالة لكنها انحدرت في ممارستها إلى الاستغلال العنصري والتمييز. في هذا السياق، يصبح الرجل الأبيض في النصوص الأدبية الإفريقية رمزًا لانهيار المركزية الأوروبية التي كانت تدعي التفوق الأخلاقي والمعرفي، لكنه تفوق قائم على إقصاء الآخر وإخضاعه.

يُجسد هذا الرمز في رواية "العبور" للكاتب الجنوب إفريقي أليكس لا غوما، حيث تظهر شخصية الرجل الأبيض وقد أصبحت مشوشة، لا تملك وضوح الرؤية أو القدرة على قيادة مستقبل إنساني مشترك[1]. هو في الرواية عاجز عن فهم التحولات التي تعصف بالمجتمع الإفريقي، ويتمسك بمقولات عنصرية قديمة لم تعد صالحة.[2] وهنا تبرز رمزية الرجل الأبيض

[1] نوانبا، فلورا. الانهيار. ترجمة سعاد جروس، بيروت: دار الآداب، 1992، ص. 113

[2] محمد، علي عبد الرؤوف. الأدب الإفريقي في مواجهة الاستعمار. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005، ص78.

كرمز لحضارة فقدت بوصلتها، وتحولت إلى عبء على الإنسانية.

كما تُظهر أعمال الكاتب النيجيري سولا أوجونبولا أن الرجل الأبيض لم يكن يومًا النموذج الأعلى كما صُوّر، بل مجرد بنية متغطرسة تُخفي هشاشتها خلف خطاب تفوق زائف. يكتب أوجونبولا عن "الانكشاف"، أي لحظة إدراك الإفريقي أن الحضارة الغربية ليست بالضرورة أرقى، وأن نُظمها لا تلائم دائمًا المجتمعات الأخرى، مما يخلق حالة من الانقلاب الرمزي في البنية السردية، حيث يفقد الرجل الأبيض هالته ويُعاد تقديمه كشخصية مأزومة ومهزوزة[3].

هذا التوجه الرمزي يُعدّ ثورة مفاهيمية داخل الأدب الإفريقي، إذ لا يكتفي بتصوير الرجل الأبيض كمستعمر، بل يُجرّده من قدسيته الحضارية ويكشف هشاشته، ما يُمهّد الطريق لإعادة بناء المركزية الثقافية من منظور إفريقي.

[1] لا غوما، أليكس. العبور. ترجمة محمود عبد الواحد، بغداد: دار المأمون، 1985، ص. 104.

[2] لا غوما، أليكس، مرجع نفسه، ص. 104.

[3] أوجونبولا، سولا. ما بعد الاستعمار وإعادة بناء الذات. ترجمة أحمد عطية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2011، ص. 139

## المبحث الرابع: المواقف المتعددة للأدب الإفريقي من الرجل الأبيض.

شهد الأدب الافريقي مواقف عديدة و مختلفة تجاه الرجل المستعمر، ومن بين ما نتج عن ذلك النقد الاستعماري و التعايش الثقافي بين الأدب الافريقي و الثقافة الغربية . و هذا ما سيتم دتناوله في هذا المبحث

### المطلب الأول: النقد الاستعماري

يبنى النقد الاستعماري في الأدب الافريقي على نقد الاحتلال لممارساته الوحشية و قيامه بتفكيك الخطاب التبشيري و اللجوء للتعليم الاستعماري

**أولا: ممارسات الاحتلال الوحشية**

القصة في افريقيا تستمد عناصرها من التأمل الداخلي او ما يسمى بالسيرة الشخصية وصورت لنا القصص العنف والتهجم واستعمال القوة الذي لطالما أخذ طابعا سياسيا بحكم ما عاشته المنطقة من استعمار . مما ادي الى ردود افعال كالمظاهرات والاحتجاجات التي كان محفزها الأول مؤلفات ومنشورات المفكرين ابرز كتاب هذا النمط ازكيل مفاليلي" و "اليكس جوما."

وظهر الاستعمار جليا في عدة روائع قصصية افريقية تحاكي تفاصيل من واقع المعناة فكتب "مونغو بيتي" فقصته مسيح بومبا الصغير (1956) التي صور فيها طبيعة المد التبشيري الغربي في افرقيا. و "فردناند أيونو" في قصصه "حياة الصبي" (1956) و "الوسام " (1967) التي ترمي الى تسفيه فكرة فرنسا افريقيا. و"احمد كروما "في رائعته شموس الاستقلال" التي يسلط الضوء فيها على اثر الاستعمار على بلاده بعد خروجه منها[1].

قدّم الأدب الإفريقي الاستعماري وما بعد الاستعماري نقدًا لاذعًا للاحتلال الأوروبي وممارساته الوحشية، حيث ظهر الرجل الأبيض كرمز واضح للقمع، والتجريد من الإنسانية، والاستغلال الاقتصادي. لم يكن هذا النقد مجرد تنديد سياسي، بل اتخذ شكلًا رمزيًا وجماليًا في النصوص، وظّف من خلاله الكتّاب أشكالًا سردية متعدّدة لإدانة العنف الممنهج الذي مارسته الإمبراطوريات الأوروبية.

[1] سماح دياب، ملامح القصة في الأدب الافريقي، مجلة العربي، ط9، ص34.

في رواية "طفولة في المنفى" للكونغولي فيليكس نتوندا، يتم عرض صورة مؤثرة للأطفال الذين يُجبرون على مغادرة قراهم بسبب الغزوات الفرنسية، وكيف أن الوجود الأوروبي في حياتهم لم يكن إلا مرادفًا للدمار والفقد. يبرز الرجل الأبيض هنا بوصفه كائنًا عدائيًا، لا يُمثل فقط "الآخر" الثقافي، بل عدو الحياة، الذي جاء محملًا بوهم التفوق العنصري والديني[1].

ويسير في هذا الاتجاه الكاتب الغيني كامارا لاي في روايته "الطفل الأسود"، حيث يصف المعاناة النفسية واللغوية التي يعاني منها الطفل الإفريقي عندما يُفرض عليه أن يرى العالم من منظور الرجل الأبيض. فالاستعمار، بحسب لاي، ليس فقط سرقة الأرض بل هو عملية تعذيب رمزية للنفس، ويبرز الرجل الأبيض فيها ككائن فاقد للتعاطف، ومهووس بالسيطرة[2].

هذه الأعمال لا تقدم الرجل الأبيض كشخصية فحسب، بل كبنية سلطوية تُهدد الوجود الإفريقي برمته، وتجعل من كل مظاهر الحياة تعبيرًا عن الخضوع أو المقاومة. وهكذا يكون النقد الاستعماري في الأدب الإفريقي فعلًا ثقافيًا مقاومًا يُعيد الاعتبار للذات الإفريقية.

**ثانيا: تفكيك الخطاب التبشيري**

يُشكّل التعليم والتبشير المسيحي أحد أهم أدوات الاستعمار الرمزية، وقد تصدى لهما الأدب الإفريقي بالنقد والتحليل، من خلال تصوير الرجل الأبيض كأداة لتفكيك البنية الروحية والثقافية للمجتمع الإفريقي. في هذه الكتابات، لا يُقدَّم المبشرون كحَمَلة للإيمان، بل كمُدخِلين لثقافة بديلة ذات طابع استعلائي.

في رواية "الطرق المتفرعة" لأمانتا إيدو، يتم نقد المدارس التبشيرية بوصفها مؤسسات هدفها الأول تطويع العقول وليس تنويرها. يُرغم الطفل الإفريقي على نسيان لغته الأم، والابتعاد عن أسرته، وتبني نمط تفكير غربي، ليصبح نسخة عن المستعمر، لا عن ذاته. وهنا يظهر الرجل الأبيض كشخصية تُمارس العنف الناعم باسم الدين والتعليم[3].

كما نجد في كتابات الكاتب التنزاني شابور راشد نقدًا حادًا للتعليم الاستعماري الذي يُجرد الإنسان الإفريقي من سردياته الخاصة، ويملأ عقله بتاريخ أوروبا وإنجازاتها، وكأن إفريقيا لم يكن لها ماضٍ أو فكر. هذه العملية التعليمية تُقدَّم بوصفها نوعًا من "غسيل الدماغ" الرمزي، حيث يتم إحلال منظومة ثقافية استعمارية محل الهوية الأصلية[1].

---

[1] نتوندا، فيليكس. طفولة في المنفى. ترجمة أمينة عزت، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 2004، ص. 59.

[2] لاي، كامارا. الطفل الأسود. ترجمة عبد القادر عيد، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص. 74.

[3] إيدو، أمانتا. الطرق المتفرعة. ترجمة حسين علي، الجزائر: منشورات القصبة، 2013، ص. 87

بهذا المعنى، فإن النقد الأدبي هنا لا يتوجه فقط إلى السياسة الاستعمارية المباشرة، بل يُسلّط الضوء على الاستعمار الخفي للعقل والثقافة. ويصبح الرجل الأبيض رمزًا للتجريد المعرفي، وليس فقط للنهب الاقتصادي.

## المطلب الثاني: التعايش والصراع الثقافي في الأدب الإفريقي

ينظر للرجل الأبيض بمنظورين، كطرف في حوار ثقافي مضطرب من جهة و كجهة صراع للقيم بين النموذج الإفريقي والغربي من جهة أخرى

### أولا: الحوار الثقافي المضطرب

رغم الحضور الكثيف للنقد في الأدب الإفريقي، فإن بعض الأعمال قدّمت الرجل الأبيض ليس كخصم دائم، بل كشخصية قابلة للحوار والتقاطع الثقافي، حتى لو كانت العلاقات مشوبة بالتوتر. في هذا السياق، يصبح الرجل الأبيض طرفًا في حوار غير متكافئ، لكنه يظل حوارًا.

ففي رواية "زهور الدم" للكاتب الكيني بيتر كيماني، تُروى القصة من منظور رجل أبيض تعرّض لصدمات نفسية أثناء خدمته في الجيش البريطاني خلال فترة الاستعمار، ويلتقي برجل إفريقي يساعده على استعادة توازنه. وهنا لا يكون اللقاء بين الاثنين مجرد تصادم، بل تفاعل معقّد، يُعبر فيه الكاتب عن إمكانية التلاقي على أسس إنسانية، رغم خلفيات الصراع[2].

كما نجد في رواية "فصول من الرمال" للكاتبة نادين غورديمر أن التفاعل بين الأبيض والأسود لا يخلو من شكوك وأزمات، لكنه يحمل أيضًا لحظات فهم وتواصل، خصوصًا في حالات الزواج المختلط أو الصداقات العابرة للحدود العنصرية. يظهر الرجل الأبيض هنا ليس فقط كرمز تاريخي، بل كشخصية تتطور داخل منظومة قيمية جديدة[3].

---

[1] راشد، شابور. الهوية والثقافة في شرق إفريقيا. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008، ص. 133.

[2] كيماني، بيتر. زهور الدم. ترجمة نجوى بركات، القاهرة: دار التنوير، 2016، ص. 92.

[3] غورديمر، نادين. فصول من الرمال. ترجمة سامية صادق، بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1990، ص. 148.

هذا التوجه لا يُنكر التاريخ الاستعماري، بل يحاول تجاوزه نحو أفق يتسع للاختلاف. وتظهر رمزية الرجل الأبيض هنا بوصفه مرآة للذات الإفريقية، تتصادم بها لكنها أيضًا تتفكر من خلالها في مستقبلها وهويتها.

**ثانيا: القيم بين النموذج الإفريقي والغربي**

يشكل الصراع بين القيم الإفريقية التقليدية والنموذج القيمي الغربي أحد أبرز ثيمات الأدب الإفريقي الحديث، حيث يُستخدم الرجل الأبيض بوصفه رمزًا للنسق القيمي البديل الذي ينازع النسق الإفريقي على الشرعية. هذا الصراع لا يتخذ دائمًا شكل العداء المباشر، بل يُعبَّر عنه من خلال تناقض في الخيارات، والتوجهات، وحتى أساليب العيش.

في رواية "رياح الشمال" للكاتب السوداني الطيب صالح، يبرز هذا الصراع من خلال الشخصية الرئيسة التي درست في أوروبا وعادت إلى قريتها، لكنها لم تعد قادرة على الاندماج في نمط الحياة التقليدي. الشخصية البيضاء في الرواية لا تظهر جسديًا كثيرًا، لكنها حاضرة كرمز للحياة الحديثة، والتعليم، والتحرر، لكنها حياة غريبة عن الجذور الثقافية المحلية[1].

كما نجد في رواية "حافة النهار" للكاتب الغاني أما أتيدو أن قوى التحديث الغربية تدخل المجتمعات الإفريقية بأدوات مثل الرأسمالية والتقنية، لكنها تُحدث تصدعًا في البنية الاجتماعية والعائلية، وتُهدد شكل التماسك الجمعي الذي عرفته القرى الإفريقية. الرجل الأبيض هنا ليس غازيًا، بل حاملًا لقيم تتغلغل تدريجيًا وتُحدث ارتباكًا وجوديًا[2].

بهذا الطرح، يُعبّر الأدب الإفريقي عن رؤيته المعقدة للتحديث، لا باعتباره غزوًا عسكريًا، بل كصراع قيمي، والرجل الأبيض يصبح رمزًا لهذا التحديث المُبهم، الذي يحمل وعودًا وأخطارًا في آنٍ معًا.

[1] صالح، الطيب. موسم الهجرة إلى الشمال. بيروت: دار العودة، 1980، ص. 57.

[2] أتيدو، أما. حافة النهار. ترجمة فريدة إبراهيم، الرباط: منشورات أفريقيا الشرق، 1999، ص. 132

من خلال دراستنا لهذا الفصل، نرى أنه رغم محاولة تملص الرجل الغربي تحت نطاق السلمي الحضاري و الثقافي، إلا أنه لم يتخلص من هيمنته الاستعمارية و محاولة سيطرته على الأدب الافريقي بسلخه من ثقافته و تجريده منها إما بالسيطرة الاستعمارية أو باللجوء

# الفصل الثاني

## صورة الرجل الأبيض بين الرواية والمسرحية

تمثل رواية أشياء تتداعى للكاتب النيجيري تشينوا أتشيبي، إلى جانب المسرحية "الموت وفارس الملك" الذي أسسها وول سوينكا، نموذجين أدبيين بارزين في التعبير عن التحولات العميقة التي شهدها المجتمع الإفريقي في ظل الاستعمار الأوروبي.

فتنبع أهمية هذه الأعمال من قدرتها على تصوير التوترات بين التراث الإفريقي والهيمنة الثقافية والسياسية للرجل الأبيض، من خلال أنساق سردية ومسرحية تمتح من الواقع الاجتماعي والرمزي للمجتمع الإفريقي.

كما تتناول في هذا الفصل أربعة مباحث رئيسية، يبدأ أولها بعرض نبذة عن المؤلف والرواية، مع تسليط الضوء على السياقين التاريخي والثقافي المحيطين بهما. ثم ننتقل إلى تحليل صورة الرجل الأبيض في الرواية، من حيث هيئته الجسدية ووظيفته الدرامية وتأثيره في تشكّل الهوية الإفريقية.

كما نتناول طبيعة العلاقة التي نسجتها الرواية بين الرجل الأبيض والإفريقي، بصفتها علاقة صراع أو تعاون. وأخيراً، يُختم الفصل الأخير بتحليل رؤية الرواية لقضية التراث الإفريقي في ظل الهيمنة الغربية، وما تحمله من معانٍ رمزية وثقافية عميقة.

## المبحث الأول: نبذة عن المؤلف والسياق التاريخي والثقافي

سندرس في هذا المبحث نبذة عن المؤلف والسياق التاريخي والثقافي لكل من أتشيبي تشينوا في وول سوينكا مقسمة في مطلبين

### المطلب الأول: الخلفية الشخصية والأدبية للمؤلف

ينقسم هذا المطلب الى فرعين الأول النشأة والتعليم والتكوين الثقافي و الثاني يتمثل في المسيرة الأدبية لهما وأثرهما

#### أولا: النشأة والتعليم والتكوين الثقافي

##### 1. تشينوا أتشيبي

وُلد ألبرت تشينوالوموغو أتشيبي (Chinua Achebe) في السادس عشر من نوفمبر سنة 1930 في مدينة أوجيدي (Ogidi) جنوب شرق نيجيريا، وهي من المناطق التي تقطنها قبائل الإيبو، إحدى المجموعات الإثنية الكبرى في البلاد. نشأ في عائلة مسيحية بروتستانتية تنتمي إلى الكنيسة الأنغليكانية، وهو ما جعله يعيش منذ طفولته في تماس مباشر مع تناقض حاد بين الثقافة الإفريقية الأصلية وبين تعاليم المسيحية الغربية، الأمر الذي شكّل بدايات وعيه النقدي المبكر بالواقع الثقافي الاستعماري.

تلقّى تعليمه الابتدائي في مدرسته المحلية قبل أن يُقبل لاحقًا في "كلية الحكومة" في أومواهيا، وهي إحدى أفضل المؤسسات التعليمية في نيجيريا حينها. ثم التحق بجامعة إبادان، حيث تخصص في الأدب الإنجليزي والتاريخ وعلم اللاهوت. خلال سنوات الجامعة، بدأ في التعمق في قراءة الأدب الغربي، مما أتاح له الاطلاع على التصورات الاستشراقية السائدة عن إفريقيا، وخاصة من خلال روايات مثل قلب الظلام لجوزيف كونراد، والتي شكلت لاحقًا دافعًا له لكتابة روايته الأشهر أشياء تتداعى كمحاولة لتفنيد هذه الصور النمطية[1].

[1]- أتشيبي، تشينوا. التعليم والهوية الثقافية: مقالات مختارة. الطبعة الثانية. دار هاينمان2009 ، ص. 45.

إنّ نشأة أتشيبي بين عالمين متنافرين التقليد الإفريقي والإرث الاستعماري جعله في موقع فريد لفهم التصدعات الثقافية الناتجة عن الاستعمار. وقد كانت هذه التصدعات موضوعًا مركزيًا في مجمل أعماله، حيث سعى لتوثيق تاريخ إفريقيا من منظور إفريقي أصيل، وإعادة الاعتبار للثقافة المحلية التي تعرضت للتهميش والإقصاء من قبل الخطاب الكولونيالي.

### 2. وول سوينكا

هو أحد أبرز الكتّاب المسرحيين والنقاد والأكاديميين في القارة الإفريقية، وُلد في نيجيريا عام 1934.

يُعتبر أول كاتب إفريقي يحصل على جائزة نوبل في الأدب عام 1986، ويتميّز إنتاجه الأدبي بدمج التقاليد الإفريقية مع الأشكال الغربية، وتوظيف الأساطير المحلية واللغة الفلسفية لنقد الاستعمار وما بعد الاستعمار.[1]

يبرز في كتاباته اهتمامٌ كبير بالهوية الثقافية، والعدالة الاجتماعية، والصراع بين الحداثة والتقاليد . من أبرز أعماله مسرحية "الموت وفارس الملك (Death and the King's Horseman) "التي كُتبت عام 1975، وتُعد واحدة من أهم مسرحياته التي تعالج صراع الهويات بين الثقافتين الإفريقية والغربية.

## ثانيا: المسيرة الأدبية وأثرها

1. بدأ تشينوا أتشيبي مسيرته الأدبية بنشر روايته الشهيرةThings Fall Apart أشياء تتداعى) عام 1958، والتي أصبحت لاحقًا علامة فارقة في الأدب الإفريقي الحديث، وواحدة من أكثر الأعمال تأثيرًا في ما بعد الكولونيالية. تستعرض الرواية بأسلوب سردي محكم حياة المجتمع الإيبو قبل مجيء الرجل الأبيض، والتغيرات العنيفة التي أحدثها الاستعمار في بنى هذا المجتمع. لم تكن هذه الرواية مجرد عمل أدبي بل وثيقة ثقافية وسياسية بامتياز، سعت إلى إظهار إنسانية الإفريقي ونضجه الحضاري بعيدًا عن التنميطات الغربية السائدة.[2]

---

[1] سوينكا وول، الموت وفارس الملك ، دار ميثوين ، لندن ، 1986، ص98 .

[2] كيلام، ج. د.، روايات تشينوا أتشيبي. الطبعة الثانية، دار هاينمان، 2004 ،ص 24

وقد استمرت أعمال أتشيبي في انتقاد السلطة الاستعمارية وآثارها النفسية والثقافية، من خلال روايات مثل Arrow of God وNo Longer at Ease، حيث تميزت أعماله ببنية روائية تجمع بين اللغة الإنجليزية والرمزية الإفريقية، مما أتاح له اختراق الساحة الأدبية العالمية مع الحفاظ على خصوصيته الثقافية.

2. تدور المسرحية حول طقس ديني يجب أن يُنفَّذ بعد وفاة ملك تقليدي، حيث يُتوقّع من قائد خيالة الملك أن ينتحر لكي يرافق روحه في العالم الآخر. غير أنّ التدخل البريطاني الاستعماري، باسم "المنطق الغربي"، يعرقل هذه الطقوس، ما يؤدي إلى أزمة أخلاقية وثقافية عميقة .تعكس المسرحية نظرة سوينكا العميقة إلى التوتر الذي نشأ نتيجة الاستعمار، وتسلّط الضوء على التناقضات بين الفهم الغربي والأنظمة الرمزية الإفريقية، خاصة فيما يتعلّق بالحياة، والموت، والشرف، والانتماء. [1]

إذ يتجلّى الرجل الأبيض، أي المستعمر البريطاني، كعنصر خارجي يحاول فرض معاييره الثقافية على واقع لا يفهمه تمامًا. ومن هنا تنبع المأساة .يؤمن سوينكا بأهمية التوفيق بين التقليد والحداثة، لكنه في ذات الوقت يُدين التدخل الاستعماري في الشؤون الروحية والثقافية للشعوب. فالمسرحية لا تكتفي بسرد أحداث تاريخية، بل تطرح تساؤلات فلسفية حول السلطة، والهوية، والحرية، وتعبّر عن موقف نقدي صارم تجاه الهيمنة الاستعمارية التي تسلب المجتمعات قدرتها على تقرير مصيرها الثقافي والروحي .

من هنا يمكن القول إنّ إسهام أتشيبي الأدبي لا يقتصر على إعادة كتابة التاريخ من منظور الضحية فحسب، بل يتعدى ذلك إلى تأسيس ما يُعرف بـ"الأدب المضاد للكولونيالية"، حيث لعب دورًا بارزًا في تفكيك الخطابات الإمبريالية التي صورت إفريقيا كقارة "بلا تاريخ" أو "بلا ثقافة". كما أسهم في تهيئة أرضية خصبة لكُتّاب أفارقة آخرين، أمثال نغوغي واثيونغو وول سونيكا، لاستكمال المشروع التحرري على المستوى السردي والفكري.

كما نلاحظ أن هذه المسرحية تعدّ مثالًا واضحًا على استخدام الأدب كوسيلة للمقاومة الثقافية، كما تعكس تطلّع الكاتب إلى صياغة خطاب إفريقي مستقل لا يتبع الأطر الغربية التقليدية. ومن خلال

[1] إبيولا إيرلي. الخيال الإفريقي، الأدب في إفريقيا والشتات الأسود، مطبعة جامعة أكسفورد، 2001، ص. 125

هذه المسرحية، يكشف سوينكا هشاشة فهم المستعمر لمجتمعات ما بعد الاستعمار، ويُظهر عمق التباين بين النماذج الحضارية المختلفة.

## المطلب الثاني: السياق التاريخي والثقافي للرواية

### أولا: السياق التاريخي

1. قبل الاستعمار، كانت نيجيريا مجتمعات متعددة الأعراق والثقافات، تتمتع بهياكل اجتماعية وتنظيمية قوية أظهر ذلك في قوله " افريقيا بشكل عام ونيجيريا بشكل خاص تستطيع الرد على الخطاب الأوربي بخطاب إفريقي مساويا له وربما يكون لاذعا"، فقبائل الإيبو في الجنوب الشرقي والتي تمثل الخلفية الثقافية للرواية. كان لهذه المجتمعات نظم سياسية تقليدية، ومعتقدات دينية متجذّرة، واقتصادات قائمة على الزراعة والتجارة، مع احترام كبير للأعراف والعادات الموروثة. كانت هذه الحياة محكومة بمنظومة متكاملة من القوانين العرفية والمجالس القروية، كما هو جلي في شخصية "أوكونكو" بطل الرواية، الذي يمثل صورة الإنسان الإيبووي المرتبط بهويته المجتمعية.

لقد أذى التدخل الاستعماري البريطاني الذي بدأ فعلياً في أواخر القرن التاسع عشر إلى إحداث تغيير جذري في التوازن حيث قامت السلطات البريطانية بتقسيم نيجيريا إلى مناطق نفوذ إداري، وأسست نظام الحكم غير المباشر، مع دعم قوي للمؤسسات التبشيرية المسيحية التي كانت الأداة الأساسية في تفكيك البنية الدينية والثقافية الإفريقية. وقد قُدمت الثقافة الغربية باعتبارها النموذج "المتحضر" في مقابل "البدائية" الإفريقية، وتم فرض التعليم الأوروبي واللغة الإنجليزية كوسائل للتأهيل الاجتماع[1].

2. في حين نلاحظ أن المسرحية تُعد انعكاسًا دقيقًا لمرحلة تاريخية مفصلية في تاريخ نيجيريا، وهي مرحلة الاستعمار البريطاني خلال أوائل القرن العشرين. تدور أحداث المسرحية في مدينة "أوي "، التي كانت عاصمة لإمبراطورية "أويو" اليوْرُبيّة، إحدى أعرق الممالك الإفريقية وأكثرها تنظيمًا

[1] فالولا توين، الاستعمار والعنف في نيجيريا، مطبعة جامعة إنديانا ، 2009، ص 47.

قبل التدخل الاستعماري. وفي حين أن الأحداث تبدو منتمية إلى الماضي الأسطوري، فإن السياق التاريخي الذي صاغ فيه سوينكا نصه ينبض بالواقع الاستعماري وتأثيراته القمعية على البنية الثقافية والسياسية للمجتمع الإفريقي .كان الاستعمار البريطاني في نيجيريا قد ترسّخ بشكل فعلي مع بداية القرن العشرين، خصوصًا بعد إعلان نيجيريا مستعمرة رسمية عام 1914. وقد فرض البريطانيون نظامًا إداريًا وسياسيًا يتعارض جذريًا مع الأنظمة المحلية التقليدية، عبر اعتمادهم على سياسة "الحكم غير المباشر"، والتي سعت إلى استعمال الزعامات التقليدية في تمرير السلطة الاستعمارية.[1]

ومع ذلك، لم يخلُ هذا النظام من صراعات عميقة، إذ لم يكن البريطانيون يفهمون تمامًا الرمزية الثقافية والاجتماعية للنظام المحلي، وغالبًا ما كانوا يتدخّلون في شؤون دينية أو شعائرية بنية "الإصلاح" أو "التمدين ."تستند المسرحية إلى حادثة حقيقية وقعت في مدينة أوي عام 1946، حيث تدخل ضابط بريطاني لمنع تنفيذ طقس انتحار طقوسي يُفترض أن يقوم به "إليزي"، قائد خيالة الملك، مرافقًا روح الملك إلى العالم الآخر. هذا التدخل لم يكن مجرد إنقاذ لحياة فردية من وجهة نظر بريطانية، بل كان بمثابة خرق رمزي لنظام متكامل من المعتقدات. فقد اعتُبر ذلك الفعل تدنيسًا للشرعية الروحية للمجتمع الأوْرُبي، وتعبيرًا عن عجز المستعمر عن إدراك عمق الرموز الإفريقي[2]

3. وبذلك نرى أن رواية أشياء تتداعى تُجسد التحول الكارثي الذي شهده المجتمع الإيبووي، من خلال تمثيل كيف أدى دخول الرجل الأبيض إلى تفكيك البنى التقليدية، ليس فقط على المستوى الديني بل أيضًا الاجتماعي والسياسي.

فلقد لمحنا أن في الرواية أن المؤلف يظهر كيف بدأ الأبناء يرفضون تقاليد آبائهم ويتجهون نحو الكنيسة والمدرسة فقال " وكما قال الشيوخ: إذا غسل الطفل يديه يستطيع الأكل مع الملوك"، فأدى هذا إلى أزمة في مفهوم الانتماء وتفكك الروابط القَبَلية.أما المسرحية فهي تسلط الضوء على هذا التوتر التاريخي بين نظامين: نظام استعماري يعتمد العقلانية القانونية الغربية،

[1] جيكاندي، سايمور ، موسوعة الأدب الإفريقي. لندن، دار روتليدج، 2003، ص. 524.

[2] سوينكا وول، المرجع السابق، ص 100 .

ونظام تقليدي يرتكز على الانسجام الكوني والروحانيات" الذكرى هي سيدة الموت، هي الثغرة في درع غروره". الصدام بين هذين النظامين هو ما يُفجر التراجيديا في النص، إذ أن الضابط البريطاني "بيلكنز" لا يفهم – بل لا يسعى إلى فهم – البنية الرمزية التي تحكم سلوك "إليزي"، ويرى في موته تهديدًا للنظام، وليس تلبية لمسؤولية روحية عميقة .إن إدراك هذا السياق التاريخي ضروري لفهم الموقف النقدي الذي يتخذه سوينكا من الاستعمار.

فهو لا يدين الفعل فقط من منطلق سياسي، بل من منطلق فلسفي: فالتاريخ الاستعماري هو أيضًا تاريخ إلغاء الرموز المحلية وفرض تأويل خارجي للوجود والكينونة. لذا فالمسرحية تمثل تأريخًا دراميًا لمرحلة انتقالية كان فيها الإفريقي يُجرد من حقه في تقرير مصيره الرمزي والثقافي.

## ثانيا: السياق الثقافي

1. يتمثل السياق الثقافي فيّ ثقافة الإيبو التي تعد واحدة من أكثر الثقافات الإفريقية تعقيدًا، وتقوم على قيم جماعية صارمة، حيث تحتل الأسرة والعشيرة مكانة مركزية في التنظيم الاجتماعي. الدين في مجتمع الإيبو ليس مجرد عقيدة روحية، بل منظومة قيمية متداخلة مع النظام السياسي، قال " لا يمكن أن نقيس الرجل بأبيه لأنه كائن مستقل"، إذ يهيمن مفهوم الآلهة والإرث الأسطوري على القرارات المصيرية، من الزواج إلى الحرب. تظهر في الرواية مظاهر من هذا التراث، مثل الاحتفالات الموسمية، ومحاكم الأجداد، والتقاليد الجنائزية، مما يمنح القارئ فهمًا عميقًا لثراء الثقافة الإفريقية قبل الاستعمار[1].

من الناحية الدينية، آمن الإيبو بإله خالق (Chukwu) وعدد من الأرواح الأقل شأنًا التي تتحكم في الطبيعة والحياة اليومية، إلى جانب تقديس الأجداد كوسطاء بين الإله والبشر. ومع دخول المسيحية، بدأت هذه المنظومة في الانهيار، حيث رفض المبشرون الطقوس التقليدية واعتبروها شركًا، وهو ما جعل العديد من أبناء المجتمع لا سيما المهمشين ينجذبون إلى الدين الجديد بحثًا عن العدالة والمكانة.

2. يتجلى السياق الثقافي في المسرحية والذي يرتكز على عمق التقاليد الأوْرُبِيّة في نيجيريا، وما تحمله من رموز روحية ومعانٍ طقسية تتعلق بفهم الحياة، والموت، والكون حيث ينتمي الكاتب وول

[1]- إيسيتشي إليزابيث، تاريخ شعب الإيغبو، دار نشر ماكميلان، 1976، ص 121.

سوينكا إلى هذه الثقافة، وقد عبّر من خلالها عن مقاومته للاستعمار الثقافي لا من خلال المواجهة السياسية المباشرة، بل عبر تقديم بنية رمزية موازية لما فرضه الخطاب الغربي.

ولهذا نرى أن المسرحية تتمحور حول طقس ديني تقليدي يُعرف باسم "طقس الانتحار الشعائري"، والذي يُعد ضرورة لإعادة التوازن بين العالمين: عالم الأحياء وعالم الأسلاف. ففي التقاليد الأُورُبِيّة، يُعتبر مرافقة قائد الخيالة لروح الملك بعد وفاته واجبًا روحانيًا، وليس فعلًا انتحاريًا بالمفهوم الغربي. يؤدي هذا الفعل إلى الحفاظ على الانسجام الكوني واستمرار الشرعية الملكية.[1]

ومن ثمّ، فإن منع هذا الطقس لا يُعدّ تدخّلًا إداريًا فحسب، بل يُفهم في الثقافة المحلية كقطعٍ للعلاقة بين الأجيال، وإخلال بالترتيب الطبيعي للوجود .تُجسّد شخصيات المسرحية هذا الصراع بين المرجعيتين الثقافيتين.

فـ"إليزي" لا يرى نفسه فردًا مستقلاً، بل حلقة في سلسلة متصلة من المسؤوليات الروحية والاجتماعية. بالمقابل، الضابط البريطاني "بيلكنز" يتعامل مع الموقف من منظور قانوني عقلاني، يفتقر إلى الفهم الرمزي، ويُسقط مفاهيمه الأخلاقية الخاصة على ثقافة لا يُدرك أعماقها. يظهر هذا بجلاء في الحوارات التي تكشف مفارقات التفكير بين الطرفين، حيث يفشل الاستعمار في "ترجمة" المعنى الحقيقي للطقس، فيتحوّل الحفظ إلى إفساد، والتدخل إلى مأساة.

ما يُميز المسرحية أيضًا هو اعتمادها على أدوات المسرح الطقسي، حيث تمزج بين الرقص، والموسيقى، والغناء، وتُوظّف الميثولوجيا الإفريقية في بناء المشهد المسرحي فيقول " إنه الإله المفضل لدي، لأنه الإله الأكثر إلحاحا على جميع العوالم". كل هذه العناصر ليست مجرد زينة شكلية، بل تشكّل جزءًا لا يتجزأ من الخطاب الثقافي الذي يحاول سوينكا إبرازه.

فالثقافة الإفريقية هنا ليست هامشية أو تقليدية بالمعنى السلبي، بل نظام متكامل من المعاني يعكس رؤية كونية مغايرة لتلك الغربية .كما أن المسرحية تطرح سؤال الهوية من خلال جدلية الداخل والخارج. فالثقافة اليوْرُبِيّة ليست مغلقة، لكنها تنزعج من محاولات "التفسير القسري" الذي يمارسه المستعمر.

---

[1] جيفيفو، بيودن ، وول سوينكا، السياسة الشعرية وما بعد الاستعمار، جامعة كامبريدج، مطبعة جامعة كامبريدج، 2004، ص102.

ومن خلال استخدام اللغة الإنجليزية لكتابة المسرحية، يعكس سوينكا مفارقةً ثقافية، إذ يستعمل أداة المستعمِر ليُبرز بها صوت المستعمَر، في عملية إعادة امتلاك رمزية اللغة والمعنى.

3. و بهذا تظهر الرواية انعكاسا لهذا الانقسام الحاد بين الجيل القديم والجيل الجديد، بين من يتمسك بالأرض والعرف والدين التقليدي، وبين من يرى في المسيحية طريقًا للتحرر أو الترقّي الاجتماعي. وهذا الصراع هو في جوهره تمثيل للصدام الأعمق بين مشروع حضاري محلي وآخر وافد يحمل معه لغةً وثقافةً ومفاهيم جديدة أما ما يخص السياق الثقافي الذي ينطلق منه النص في المسرحية فلا يمكن فصله عن رسالته السياسية والإنسانية فسوينكا إذ لا يدعو إلى تمجيد الماضي فقط، بل ويسعى إلى ترسيخ احترام متبادل بين الثقافات، والذي يقوم على الفهم والتأويل لا على الفرض والسيطرة. ومن هنا، تتحوّل المسرحية إلى فضاء رمزي للدفاع عن حق الشعوب في تأويل وجودها وطقوسها وفق مرجعيتها الذاتية.

## المبحث الثاني: صورة الرجل الأبيض في الرواية

قمنا بتقسيم هذا المبحث الى ثلاثة مطالب، حيث المطلب الأول يدرس الصورة الجسمية للرجل الأبيض في حين تطرقنا للمطلب الثاني صورة الرجل الأبيض كمستعمر أو كمتعاطف أما المطلب الأخير يتناول تأثير صورة الرجل الأبيض على الهوية الإفريقية

### المطلب الأول: الصورة الجسمية للرجل الأبيض

### أولا: الصورة الجسدية في الرواية

في أشياء تتداعى، يُقدَّم الرجل الأبيض بوصفه كيانًا غريبًا ومبهمًا، يثير الدهشة والريبة في آنٍ معًا. لقد شكلت بنيته الجسمانية مادة أولية للتصورات الشعبية في بداية ظهوره، إذ يصفه السكان المحليون بأنه "شبح"، أو "رجل بلا لون"، أو حتى "كائن غير بشري". ففي الرواية، يرد على لسان أحد الشخصيات أن الرجل الأبيض "يشبه قطعة من القطن، يسير ويتكلم بلغة لا يفهمها أحد[1]."

لون البشرة الأبيض لم يكن مجرد سمة فيزيائية، بل علامة فارقة تُجسّد اختلافًا وجوديًا. في المجتمعات الإفريقية التقليدية، اللون الأبيض كان يرمز إلى الأرواح أو الموتى، ومن هنا نشأ شعور عام بأن هؤلاء القادمون من الغرب يحملون قوى خارقة أو نوايا شريرة" عندما يسطع القمر يجوع الكسيح إلى المشي. هذا الوعي الجسدي المرتبط بالمظهر الجسدي شكّل الأساس للنفور الأولي من المستعمر، قبل أن يتطور إلى مقاومة أيديولوجية لاحقًا[2]..

### ثانيا: الصورة الجسدية في المسرحية

يُقدَّم الرجل الأبيض في المسرحية ضمن صورة جسمية تحمل أبعادًا رمزية تتجاوز حدود الوصف الخارجي لتكشف عن التمثلات الثقافية التي ينطوي عليها حضور المستعمِر في المخيال الإفريقي. فسوينكا يوظف التوصيف الجسماني بشكل غير مباشر، لكنه دقيق، ليعكس تمظهرات السلطة والغرور الثقافي

[1] أتشيبي، تشينوا. الأشياء تتداعى. دار هاينمان، 1958، ص 74.

[2] نغوجي وا ثيونغو. تحرير العقل. جيمس كوري المحدودة ,1986، ص 19.

التي اتسم بها المستعمر البريطاني في علاقته بالشعوب الإفريقية .الضابط البريطاني "بيلكنز"، الذي يمثل الوجود الاستعماري في المسرحية، يُصوَّر كرجل متين البنية، صارم القسمات، يتمتع بحضورٍ رسمي يوحي بالقوة والانضباط، لكن خلف هذه الهيئة الجسدية القوية، تخفي المسرحية نوعًا من "التشوه الرمزي" الذي يشير إلى قلة الفهم وانعدام الانسجام مع البيئة الثقافية المحيطة. 1

فعلى الرغم من قوة جسده الظاهرة، فإن "بيلكنز" يبدو عاجزًا عن التواصل الحقيقي مع سكان "أوي"، ويظل أسير تصورات نمطية ومواقف فوقية تجاه ثقافتهم.تتجلى هذه في قوله" إن هذه الصورة الجسمية لا تُفهم إلا من خلال التباين الواضح مع الشخصيات الإفريقية، وخاصة شخصية "إليزي" الذي يقدَّم بجسد يرمز إلى الانسجام الروحي مع الأرض والمجتمع. فبينما يُظهر إليزي جسدًا أفريقيًا يؤدي طقسًا يحمل بعدًا مقدسًا، يظهر جسد الرجل الأبيض وكأنه أداة سلطة بيروقراطية لا تدرك القدسية الرمزية للأفعال الطقسية .في هذا السياق، يمكن القول إن سوينكا يحمّل الجسد الأبيض دلالة استعمارية، فليس جسد "بيلكنز" رمزًا للقوة فقط، بل هو تجسيد للجهل المتغطرس، أو ما يمكن تسميته بـ"الجهل المدجج"، أي ذلك الجهل الذي يحمل سلاحه القانوني والإداري ويتدخل في منظومات لا يفقه رموزها.

ومن ثم، فإن الجسد الأبيض في المسرحية لا يحظى بأي قدسية أو بطولة، بل يُقدَّم كجسد "غازٍ"، تمجّده سلطته لكن ترفضه البيئة الثقافية .

ومن هنا نصل أن الوصف في الرواية ليس محض تصوير بصري، بل يحمل في طياته دلالات رمزية عميقة، تعكس تصادم الثقافات وتكريس مفهوم "الآخر".

واللافت أن الرواية تلتقط هذه الأوصاف الجسدية من وجهة نظر محلية، مما يُظهر كيف أن الجسد الأبيض لا يُقرأ كجسد عادي، بل كعلامة مشحونة بالإثارة والتهديد في آنٍ واحد. وقد استثمر أتشيبي هذه النظرة في إبراز التباين الحاد بين "العالم التقليدي" و"العالم الاستعماري"، مؤكدًا أن الغزو لم يكن فقط بالسلاح بل بالجسد والرمز واللغة[2]

[1] حسن، محمد يوسف، الرمزية في المسرح الإفريقي، دراسة في مسرح وول سوينكا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007، ص. 92.

[2]- أشكروفت، بيل، جريفيث، غاريث، وتيفين، هيلين. دراسات ما بعد الاستعمار: المفاهيم الأساسية. الطبعة الثانية، روتليدج،2007، ص 185.

أما المسرحية فنعتقد أنها تُبرز المفارقة الجسدية من خلال اللباس أيضًا، إذ يظهر الرجل الأبيض مرتديًا زيًا عسكريًا رسميًا، ما يشير إلى حضوره كعنصر خارجي مفروض بالقوة، في مقابل الشخصيات المحلية التي ترتدي أزياء طقسية تعبّر عن الانتماء الروحي والتاريخي. هذا التباين يعمّق من الغربة الجسدية للرجل الأبيض ويُظهره كجسد "مقطوع الصلة" بالسياق المكاني والثقافي الذي يتواجد فيه . ختامًا، فإن الصورة الجسمية للرجل الأبيض في مسرحية سوينكا تمثل أكثر من مجرد وصف خارجي؛ إنها ترميز لتجربة استعمارية قائمة على القطيعة والهيمنة، تُجسد التوتر بين الجسد المُستعمِر المفروض والجسد الإفريقي المتجذّر في ترابه ورموزه.

## المطلب الثاني: صورة الرجل الأبيض كمستعمر أو كمتعاطف

### أولا: الرجل الأبيض كمستعمر

1. في الرواية يتجلّى الرجل الأبيض كمستعمر يحمل مشروعًا توسعيًا ذا أبعاد دينية، وثقافية، وسياسية. لقد بدأ الحضور الاستعماري من خلال المبشّرين، الذين مثّلوا طليعة المشروع الكولونيالي، فدخلوا القرى باسم الدين المسيحي، وجذبوا في البداية الفئات المهمشة من المجتمع ، مثل التوأم المطرود، والمكفوفين، والمحرومين من الحقوق ما مكّنهم من تكوين قاعدة اجتماعية. هذه الاستراتيجية مثّلت مدخلًا خطيرًا لاختراق البنية الثقافية للمجتمع الإفريقي[1].

إذ لم يكن الحضور الديني منفصلًا عن السياسي، فقد أعقب المبشرين جهاز إداري استعماري مدعوم بالقوة العسكرية فنلمح قوله " إذا نظر امرؤ إلى فم ملك، ظن أنه لم يرضع قط من ثدي أمه". في هذا السياق، يُقدَّم الرجل الأبيض في الرواية باعتباره محركًا لمنظومة متكاملة من التفكيك والتخريب، تستهدف قيم المجتمع، وتعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية ضمن نمط استعماري جديد. فقد أُقيمت المحاكم، وفرضت العقوبات، وأُلغي دور الشيوخ والمجالس العرفية فقال " انصت إلي، إنك لست غريبا في أموفيا وتعلم أن آبائنا قد قرروا أنه قبل أن نزرع أي

[1] ميمي، ألبرت. المستعمر والمستعمَر. دار بيكون للنشر، 1965، ص67

محصول في الأرض علينا أن نكرس أسبوعا...."، مما أدى إلى انكسار السلطة التقليدية وخلق فراغ هوياتي لدى الأفراد[1].

2. تطرح مسرحية "الموت وفارس الملك" تساؤلاً عميقًا حول موقع الرجل الأبيض في التفاعل مع المجتمعات الإفريقية المستعمَرة: هل هو فاعل استعماري قسري؟ أم أنه شخصية متعاطفة تسعى لفهم الآخر؟ إذ يقدم وول سوينكا من خلال شخصية الضابط "بيلكنز" نموذجًا مركّبًا يبتعد عن الأحكام السطحية، لكنه ينتهي إلى ترسيخ صورة المستعمِر الذي لا يستطيع تجاوز تمثلاته المسبقة .في بداية المسرحية، يُصوّر "بيلكنز" على أنه موظف إداري حريص على حفظ النظام، ولا يتدخل بدافع العنف بل من "حسن نية" متوهمة، إذ يعتقد أن إنقاذ "إليزي" من الانتحار هو فعل إنساني. 2

غير أن هذا "التعاطف" الظاهري سرعان ما يتبدّد أمام عمق الجهل بالسياق الثقافي الإفريقي فيقول " أبطل أدى الحية قبل أن يتاح لها الوقت للدغك". فالرجل الأبيض هنا لا يسعى إلى الفهم، بل إلى فرض تصوره عن "الخير"، مما يحوّله من متعاطف إلى متسلط.

## ثانيا: صورة الرجل الأبيض كمتعاطف

1. على الرغم من الغلبة التي يمنحها النص لصورة الرجل الأبيض كمستعمر، فإنّ الرواية لا تخلو من شخصيات بيضاء تظهر بصورة متعاطفة، وأبرزها شخصية القس "السيد براون"، الذي يسعى إلى إقامة حوار مع المجتمع المحلي، ويُظهر احترامًا لبعض تقاليده فقال في هذا " عندما يسطع القمر يجوع الكسيح إلى المشي". هذا التعاطف يبدو في ظاهره إنسانيًا، لكنه في جوهره يحمل طابعًا أبويًا يستبطن شعورًا بالتفوق الحضاري، وإن غابت عنه القسوة المباشرة.[3]

السيد براون" يُظهر وجهًا ناعمًا للاستعمار، حيث يحاول إقناع السكان بالمسيحية بالحجة وليس بالقوة قائلا " إننا نعيش في سلام مع بني جلدتنا لنكرم آلهة الأرض العظيمة التي لاتنمو محاصيلنا دون بركتها"، ويقيم مدارس ومراكز صحية، ويحث على التعلم كوسيلة للتحضر. لكن هذا

[1] أتشيبي، تشينوا، مرجع سابق، ص 103.

[2] الطهطاوي، سعاد، الهوية الثقافية في المسرح الإفريقي، قراءة في أعمال وول سوينكا. بيروت: دار الآفاق، 2010، ص. 112

[3] فانون، فرانز. معذبو الأرض. دار غروف للنشر، 1963، ص 49.

التعاطف لا يُلغي طبيعته الاستعمارية، لأنه يعمل ضمن منظومة تنظر إلى الثقافة الإفريقية كحالة دونية تستدعي "الارتقاء". إنه تعاطف مشروط، لا يرقى إلى الاعتراف الحقيقي بإنسانية الآخر وثقافته[1].

أما شخصية "السيد سميث"، الذي يخلف براون، فهي تمثل نقيضًا مباشرًا، حيث تتسم بالعنف الأيديولوجي والتعصب الديني، مما يؤكد أن التعاطف الفردي لدى بعض الشخصيات لا ينفصل عن السياق الكولونيالي العام الذي يتحرك ضمنه الرجل الأبيض[2].

2. فالرجل الأبيض في المسرحية لا يعبّر عن ذات مستقلة، بل يُمثّل مؤسسة استعمارية، تدّعي الإنسانية لكنها تحتقر أنظمة الآخرين الرمزية.

وهنا، يسقط القناع عن صورة "المتعاطف"، ليظهر "بيلكنز" في جوهره كمجسد للعقلية الكولونيالية التي ترى في الثقافات الأخرى مظاهر تخلف وجاهلية .ومما يعزز هذا التصور، الحوارات الساخرة التي تتضمنها المسرحية، والتي تكشف عن نظرة "بيلكنز" وأمثاله للمجتمع الأوربي بوصفه مجموعة من الطقوس البدائية. 3

وفي إحدى المواقف، يُشبّه طقس الانتحار الشعائري بتضحيات الحيوانات، ما يُظهر استعلاء ثقافيًا وفهمًا سطحيًا للمعاني الروحية. هذا الخطاب لا يصدر عن شرٍ بالمعنى الأخلاقي، بل عن جهل ثقافي مطبوع بالهيمنة.

فالمرأة البريطانية في المسرحية، السيدة "بيلكنز"، تُقدّم هي الأخرى صورة مكملة لزوجها، إذ تشارك في تبسيط الثقافة الإفريقية وتقزيمها، ما يشير إلى أن "التعاطف" ليس جزءًا من البناء الثقافي للمستعمر، بل يُستعمل كغطاء ناعم للسيطرة. فحتى عندما يبدوان مهذّبين أو مهتمّين، فإنهما يمارسان نوعًا من "العنف الرمزي" عبر إنكار شرعية الرؤية الإفريقية للعالم.

ومن هنا نلاحظ أن أتشيبي يتعامل مع التعاطف الأوروبي بحذر، فهو يدرك أن هذا النوع من الإنسانية المغلفة يمكن أن يكون أكثر فتكًا من القمع المباشر، لأنه يتسلل إلى النفوس ويعيد تشكيل الذات الإفريقية من الداخل، مما يعرقل أي مقاومة واعية.

---

[1] سعيد، إدوارد. الاستشراق. دار بانثيون للنشر، 1978، ص 112

[2] أتشيبي، تشينوا، المرجع السابق، ص 125

3 الطهطاوي، سعاد، المرجع السابق، ص. 118

كما نستنتج أنه يُبرز هذا البُعد بوعي نقدي، حيث يبيّن أن السيطرة الاستعمارية لم تكن مادية فحسب، بل عقلية ورمزية، فقد تم تشويه صورة الآلهة، وإلغاء اللغة الأم، وتقديم الرجل الأبيض كحامل للمعرفة والسلطة. وبهذا، يتجاوز الاستعمار مظهر الاحتلال العسكري، ليغدو مشروعًا معرفيًا يُراد له أن يُقصي كل ما هو محلي وأصيل، ويؤسس لهيمنة ثقافية شاملة.

فيما ما ترى المسرحية أن السؤال: "هل الرجل الأبيض مستعمر أم متعاطف؟" والذي أجاب عليه سوينكا دراميًا من خلال نتيجة موت إليزي وتفكك التوازن الروحي للمجتمع.

فلقد فشل التعاطف المزعوم في إنقاذ أي شيء، بل أدّى إلى خسائر رمزية عميقة، ما يُثبت أن غياب الفهم الثقافي يجعل كل تعاطف أداة استعمارية غير واعية .

هده المفارقة الكبرى تكمن في أن التدخل البريطاني يُرتَكب باسم "التمدين"، وهو خطاب استعماري كلاسيكي وأن التعاطف لا يُمثل بالضرورة قطيعة مع المشروع الاستعماري، بل هو أحد وجوهه المموّهة.

## المطلب الثالث: الرجل الأبيض والهوية الثقافية

### أولا: نظرة تأثيره في الرواية

مع قدوم الرجل الأبيض إلى المجتمعات الإفريقية في أشياء تتداعى، تبدأ عملية تفكك تدريجية للبنية الثقافية التي شكّلت أساس الهوية الجماعية " لقد أتيت شرا عظيما". هذه البنية لم تكن مجرد معتقدات دينية أو طقوس اجتماعية، بل نظامًا رمزيًا متكاملًا يشمل اللغة، والأخلاق، والعلاقات الطبقية، والتصورات الكونية. دخول الرجل الأبيض بنموذجه القيمي والحضاري لم يأتِ بصدام عسكري فقط، بل باغتراب معرفي، قلب المفاهيم وزعزع استقرار التصورات الذاتية للأفارقة عن أنفسهم[1].

أحد أبرز وجوه هذا التأثير كان فقدان الثقة في الذات الجماعية، إذ بدأ أفراد من داخل المجتمع بالتشكيك في معتقداتهم وتقاليدهم لصالح قيم المستعمر. ظهور المدارس، وترويج المسيحية، وتغيير

[1] نغوجي وا ثيونغو ، المرجع السابق، ص24.

مفهوم "التحضر"، أدى إلى انقسام داخلي في المجتمع، بين من ظلّ وفيًا لهويته الأصلية، ومن تبنّى رؤية الرجل الأبيض بوعي أو بغير وعي. وتبرز الرواية شخصية "نويوي"، ابن أوكونكو، كنموذج للفرد الذي فقد صلته بثقافة أجداده بعد انضمامه للمسيحية، ما يعكس التحول العميق في الهوية الفردية تحت تأثير الاستعمار[1].

## الفرع الثاني: تأثيره من منظور المسرحية

لقد عالجت هذه المسرحية موضوع الهوية الإفريقية في مواجهة الاستعمار، من خلال تصوير تأثير الرجل الأبيض على البنية الرمزية والثقافية للمجتمع الأوْرُبِي.

إذ لا يقتصر هذا التأثير على البعد السياسي أو الإداري، بل يتعداه ليطال جوهر الهوية الإفريقية المرتبطة بالروح، والتاريخ، والطقوس، أي المكونات العميقة التي تُشكّل الذات الجماعية[2].

فيظهر الرجل الأبيض، ممثلاً بالضابط "بيلكنز"، كعامل اضطراب في النظام الرمزي التقليدي. فهو لا يهاجم الهوية الإفريقية بشكل مباشر، لكنه يفرض تصوّراته الخاصة للمنطق، والعقلانية، والقانون، باعتبارها معايير كونية يجب أن تُطبَّق على الجميع فيقول " لقد تحولت هذه العقلية في أفضل الأحوال من الغرب إلى الشرق". بهذا السلوك، يُقصي المستعمِر بشكل غير مباشر كل ما هو محلي أو طقسي أو غير قابل للتفسير وفق قواعده العقلية.

وهكذا، ينشأ تصدع في النسق المعرفي للمجتمع الإفريقي، بين ما يجب أن يكون عليه وفق مرجعياته، وما يُفرض عليه من الخارج .الهوية الإفريقية في المسرحية لا تُقدَّم بوصفها شيئًا مكتملًا، بل بوصفها هوية تُصارع من أجل البقاء.

فالمستعمِر لم يأتِ فقط بجنوده، بل أيضًا بمفاهيمه الأخلاقية، وتعريفه للخير، ومفهومه للحياة والموت، وهي مفاهيم تصطدم مباشرةً مع الرؤية الإفريقية القائمة على الارتباط الدائم بين الإنسان

[1] أتشيبي، تشينوا، المرجع السابق، ص 143.

[2] سليمان، عبد الرحيم، إفريقيا والمسرح ما بعد الكولونيالي، دراسة في خطاب وول سوينكا، عمّان، دار كنوز المعرفة، 2012، ص.134

والطبيعة والأسلاف. وعندما يمنع "بيلكنز" طقس الانتحار الشعائري، فإنه لا يمنع مجرد فعل جسدي، بل يقطع سلسلة من الرموز التي تضمن استمرار الهوية الجمعية .وبينما تتجسّد الهوية الإفريقية في شخصية "إليزي"، الذي يمثل الجسر بين العالمين المادي والروحي، يظهر المستعمِر كقوة "نزع الجذور"، تقطع هذا الجسر وتحدث فراغًا وجوديًا.

إن فشل "إليزي" في أداء الطقس لا يعني فقط موته، بل موت المعنى، وتدمير السردية التقليدية التي تؤطر وجود الجماعة.

تُظهر المسرحية أيضًا أن تأثير الرجل الأبيض لا يقتصر على لحظة واحدة، بل يزرع الشك في النفوس، ويجعل الأفراد يُعيدون التفكير في مفاهيمهم وقيمهم الخاصة. وهذا الشك هو بداية الانكسار الثقافي. فحين يُجبر المجتمع على تفسير أفعاله وفق منطق خارجي، فإنه يفقد ثقته بتقاليده، ويتحوّل من فاعل ثقافي إلى مفعول به في لعبة استعمارية رمزية فوول سوينكا يُقدّم الهوية الإفريقية بوصفها هوية مقاومة، لكنها أيضًا معرضة للخطر إذا ما استمر الرجل الأبيض في احتلال المجال الرمزي والمعرفي.[1]

ومن هنا، نلمح أن أتشيبي وضع في تحليله لهذا التحول من خلال اللغة المأساوية، حيث يُصوَّر فقدان الهوية كموت رمزي، لا ينحصر فقط على ضياع الأرض.

أو السلطة[2]، بل في انهيار الذات في حين ترى المسرحية أنها ليست مجرد نقد للاستعمار السياسي، بل أيضًا تحذير من الاستعمار الرمزي الذي يصادر الحق في تعريف الذات، وتفسير العالم من منظور داخلي

[1] سليمان، عبد الرحيم، المرجع السابق، 136.

[2] بهابها، هومي، موقع الثقافة، دار روتليدج، 1994، ص 113.

## المبحث الثالث: العلاقات الثنائية في النموذجين:

### المطلب الأول: مسألة التراث الثقافي

#### أولا: الرواية

منذ بدايات الحضور الاستعماري اتضحت العلاقة بين الرجل الأبيض والإفريقي في شكل صراع محتدم يتجاوز المواجهة العسكرية ليبلغ عمق الوجود الثقافي والروحي. لا يقدَّم المستعمر بوصفه فاعلًا اقتصاديًا فقط، بل باعتباره مشروعًا رمزيًا يسعى إلى الهيمنة الشاملة[1].

فحين يدخل المستعمر إلى قرية "أوموفيا"، لا يفعل ذلك بقوة السلاح فقط، بل من خلال "غزو العقل والروح"، كما يصفه نغوجي واثيونغو، مستهدفًا أنظمة التفكير، ومعتقدات السكان، وقيمهم الاجتماعية[2].

يتجلى هذا الصراع في الطريقة التي يفرض بها المستعمر رموزه: اللغة الإنجليزية تصبح لغة التعليم والسلطة، الديانة المسيحية تفرض نفسها بديلاً عن أنظمة المعتقدات الإفريقية، والقانون الإنجليزي يحل محل العرف المحلي. في كل ذلك" وأقسمت في داخلها أنها إذا سمعت أزنما تصرخ فستندفع إلى داخل الكهف لتدافع عنها ضد جميع آلهة العالم، لا بل تموت معها"، لا يترك المستعمر للإفريقي خيار المقاومة السلمية، بل يدفعه نحو التهميش أو القبول الكامل. أوكونكو، بطل الرواية، يمثل الوجه المقاوم لهذا الصراع، لكنه في النهاية يُهزم أمام قوة الغزو، ويُجبر على الانتحار كرمز لانهيار النظام الثقافي التقليدي[3].

---

[1] فانون، فرانز، المرجع السابق، ص 41.

[2] نغوجي واثيونغو ، المرجع السابق، ص42.

[3]- أتشيبي، تشينوا، المرجع السابق، ص150.

هذا الشكل من الصراع لا يبرز على مستوى الفرد فقط، بل على مستوى الجماعة، إذ تنقسم القرية بين من يقبل النظام الجديد ومن يرفضه، مما يخلق نوعًا من الحرب الأهلية الرمزية داخل المجتمع نفسه[1].

## ثانيا: في المسرحية

يقدّم وول سوينكا في مسرحية موت الملك الحصيف العلاقة بين الرجل الأبيض والرجل الإفريقي بوصفها صراعًا يتجاوز مجرد التصادم السياسي أو الإداري، ليمسّ البنى الرمزية والثقافية العميقة.

فالرجل الأبيض لا يظهر فحسب كصاحب سلطة استعمارية، بل كممثل لنظام فكري غريب يفرض نفسه على سياق ثقافي وروحي مختلف كليًا إذ تتجلّى العلاقة الصراعية بوضوح في تعارض التصوّرين حول الموت والواجب الطقسي2.

ففي حين يرى المجتمع الإفريقي، من خلال شخصية "إليزي"، أن موت الملك يقتضي مرافقة شعائرية نحو العالم الآخر، يتدخل الضابط البريطاني "بيلكنز" ليمنع هذا الطقس بوصفه جريمة انتحار. هذا التدخل يفضح عمق التوتر بين سلطة استعمارية لا تعترف بالرمزية الروحية، وهوية ثقافية تُعرّف نفسها من خلال الطقوس والروابط مع الأسلاف .الصراع لا يكون بالسلاح، بل باللغة والرمز، حيث يستخدم الرجل الأبيض أدواته الخطابية كوسيلة لتهميش الثقافة الإفريقية، عبر تسميتها بـ"الخرافية" أو "البدائية"3.

[1] أتشيبي، تشينوا، المرجع نفسه، ص152.

[2] قنديل، محمد عبد السلام، رمزية الصراع في الأدب الإفريقي الحديث، قراءة في مسرح وول سوينكا، القاهرة: دار الفكر المعاصر، 2015، ص75.

[3] قنديل، محمد عبد السلام، المرجع نفسه، ص77.

كما يتمثل الصراع في إصرار الرجل الأبيض على أن تكون رؤيته للحياة والموت معيارًا عالميًا، ما يُقصي تمامًا أي تصور محلي مختلف .

لذا نعتقد أن أتشيبي قد أدرك أن الاستعمار لا يُلغى بالضرورة عبر المواجهة المباشرة، بل يُهزم حين تُستعاد السيطرة على الذات والوعي، ولهذا صاغ الرواية كنص يعيد تمثيل هذا الصراع ضمن رؤية فكرية مقاومة.

في حين يرى سوينكا غير ذلك حيث لا يعرض هذا الصراع بشكل فجّ، بل يُضمره داخل التفاصيل الدرامية، فالعلاقة بين بيلكنز وإليزي لا تقوم على التفاهم، بل على سوء الفهم البنيوي.

فكل طرف يتحدث من منظومة رمزية مختلفة، ومع غياب الاعتراف المتبادل، يتحوّل الحوار إلى صدام ثقافي لا مخرج منه.

## المطلب الثاني: العلاقة في شكل تعاون

1. رغم الطابع الصراع المهيمن على العلاقة بين الرجل الأبيض والإفريقي في رواية أشياء تتداعى، إلا أن تشينوا أتشيبي لا يغفل الإشارات التي تدل على إمكانية التفاهم والتقارب بين الطرفين.[1]

فهناك لحظات سردية تشير إلى حالات من التلاقح الثقافي والحوار الهادئ، وخصوصًا عبر بعض الشخصيات الاستعمارية التي لم تأتِ بنية التدمير" إن الشمس ستشرق على أولئك الذين يقفون قبل أن تشرق على أولئك الذين يركعون تحت أقدامهم"، بل انطلقت من محاولة للفهم. نذكر على وجه الخصوص شخصية "السيد براون"، المبشر المسيحي الذي اعتمد سياسة اللين والحوار عوضًا عن العنف والإكراه، وسعى إلى بناء الجسور مع المجتمع الإفريقي المحلي.[2]

إذ أن خطاب السيد براون في الرواية يشير إلى إدراك نسبي للتعدد الثقافي، إذ يحاول أن يحترم بعض المعتقدات الإفريقية، ويعترف ضمنيًا بوجود منظومات معرفية بديلة لتلك الغربية. وقد

[1]- محمد عابد الجابري. الدين والدولة وتطبيق الشريعة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1990. ص. 112–114

[2]- أتشيبي، تشينوا، ترجمة: فاضل الجلبي، بيروت: دار الآداب، 2014. ص. 176

اختار أتشيبي أن يصور هذا المبشر بصورة غير نمطية، في محاولة لطرح رؤية متوازنة للعلاقة بين الثقافتين، تقوم على الاعتراف المتبادل والاحترام، وليس فقط على الاستعلاء والصراع.[1]

هذا يعكس الطرح الفكري الذي يتبناه أتشيبي، والذي يرى أن الاستعمار وإن كان تدميريًا في جوهره، إلا أن بعض أشكاله احتوت على إمكانات محدودة للتقارب الإنساني[2].

2. رغم أن السمة الغالبة في المسرحية هي التوتر والصراع، إلا أن وول سوينكا لا يغلق باب التأويل أمام إمكان وجود لحظات تعاطف أو محاولات تفاهم بين الرجل الأبيض والإفريقي، وإن جاءت محاطة بالخطأ أو سوء الفهم.

فالرجل الأبيض، ممثلاً بـ"بيلكنز"، لا يسعى في ظاهره إلى الإضرار، بل إلى "الإنقاذ"، مما يعكس محاولة تعاون شكلية، وإن كانت مبنية على جهل بالمعنى الرمزي .في بعض المشاهد، يحاول بيلكنز أن يُظهر تفهمًا للثقافة الإفريقية، ويبدو مترددًا في استخدام العنف، مما يوحي بإرادة تفادي التصعيد. كما تحاول زوجته أن تتفاعل مع البيئة الجديدة، وإن من موقع استشراقي سطحي. هذه المحاولات، على الرغم من محدوديتها، تعكس نمطًا من العلاقة التي تحاول وإن فشلت بأن تكون إنسانية.[3]

فالمسرحية بدورها تُظهر أيضًا أن بعض الشخصيات الإفريقية، مثل رئيس المحكمة أو الإداريين المحليين، يحاولون إيجاد وساطة بين العالمين، ما يشير إلى وجود مساحة للتفاوض والتعاون المشروط، حتى وإن كان يتم تحت وطأة السلطة الاستعمارية.

وربما تكون أهم دلالة على إمكان التعاون هي الطريقة التي تُصوَّر بها النهاية حيث ليست نهاية حاسمة بنصر لطرف، بل انهيار جماعي للفهم والتفاهم.

وهذا ما يُظهر أن غياب المعرفة المتبادلة هو ما أعاق التعاون، لا الطبيعة الجوهرية للعلاقة.

---

[1]- برهان غليون. الإنسان المستباح: الاستبداد والعنف في المجتمعات العربية. بيروت: دار الشروق، ط1، 2005. ص. 63–65.

[2] أتشيبي، تشينوا، ترجمة: فاضل الجلبي، المرج نفسه، ص 180.

[3] عبد الجبار، فاطمة حسين، خطاب الآخر في المسرح الإفريقي، تمثلات الرجل الأبيض في أعمال وول سوينكا، تونس، دار محمد علي للنشر،2003، ص103.

ومن من هنا يمكننا القول أن الرواية تعرض وجهًا آخر للعلاقة، وجهًا لا يقوم فقط على التناقض والصدام، بل يفتح الباب أمام إمكانيات الحوار. وهذه القراءة تتسق مع التحليلات الثقافية الحديثة التي ترفض اختزال العلاقة بين المستعمر والمستعمَر في منطق ثنائي جامد (هيمنة/خضوع)، وتؤمن بوجود مساحات رمادية يمكن فيها للتفاعل الإنساني أن يثمر.

في حين تقوم المسرحية بطرح التعاون بوصفه خيارًا مُمكنًا، لو تحقق الشرط المعرفي والرمزي له.

## المبحث الرابع: الرؤية في النموذجين

### المطلب الأول: الرؤية في الرواية

يعرض تشينوا أتشيبي بنية ثقافية تقليدية راسخة داخل مجتمع الإيبو" حقا ينتمي الطفل إلى

أبيه"، حيث يقدّم التراث الإفريقي ككيان متكامل يشمل القيم الاجتماعية، النظم الدينية، والعلاقات العشائرية. ومع دخول الرجل الأبيض إلى هذا النسيج الثقافي، يبدأ التفكك. يصف أتشيبي التراث ليس بوصفه حنينًا للماضي فحسب، بل كهوية فاعلة تعطي للأفراد معناهم وموقعهم ضمن الجماعة. وتُجسّد شخصية "أوكوونكو" رمزية هذا الصراع بين الإرث العشائري والنظام الاستعماري[1] .

يشير أتشيبي إلى أن الرجل الأبيض لم يهاجم المجتمع الإفريقي فحسب من خلال السلاح، بل من خلال "الكتاب المقدس"، إذ استُخدم الدين المسيحي كوسيلة لهدم التقاليد الراسخة، وهو ما يتجلى في تدمير المعابد التقليدية، وإنشاء المدارس الكنسية، وتفكيك روابط الولاء الجماعي. ومن خلال ذلك، تتضح رؤية أتشيبي التي تُحمّل المستعمر مسؤولية انهيار نظام قائم، لكنه لا يعفي المجتمع الإفريقي من مسؤولية الاستسلام الجزئي نتيجة بعض الممارسات القمعية داخليًا" ينتمي الرجل إلى وطن أبيه في السراء عندا تكون الحياة حلوة المذاق، أما في الضراء وفي حالة الحزن والمرارة فإنه يد المأوى في وطن أمه" ، كإقصاء الأفراد المختلفين وتهميش المرأة.[2]

[1] حسن، عبد القادر، الهوية الثقافية في الرواية الإفريقية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2014، ص. 110

[2] المرجع :أتشيبي، تشينوا، أشياء تتداعى. ترجمة، محمد مصطفى بدوي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص2009. 87.

## المطلب الثاني: الرؤية في المسرحية

تعالج المسرحية الصدام بين منظومة ثقافية تقليدية مستندة إلى الطقوس والأساطير، ومنظومة استعمارية تدّعي "التحضر". تدور المسرحية حول طقس إفريقي يتمثل في انتحار مرافق الملك المتوفى (الحصيف) كواجب ديني لضمان انتقال الملك إلى العالم الآخر بسلام.[1]

لكن هذا الطقس يُقاطع من قبل الحاكم البريطاني الذي يرى فيه فعلًا همجيًا يجب منعه .يطرح سوينكا في نصه مفهوم "التراث" من زاوية فلسفية-أنطولوجية، حيث لا يراه مجرد ممارسة، بل فعلًا متجذرًا في الزمن والمقدّس. الرجل الأبيض لا يفهم هذه الرؤية، بل يختزلها إلى مفاهيمه القانونية، فيُفسد النظام الطقوسي ويحدث الاضطراب الروحي والاجتماعي في المجتمع. هنا، يبرز التراث الإفريقي كأفق وجودي، بينما يتجسد الرجل الأبيض كقوة تعمية وتشويش .

يُبرز سوينكا فشل المستعمر ليس فقط في فهم التراث، بل في التعامل معه بندّية. فالصراع هنا ليس عسكريًا أو سياسيًا، بل هو صراع رمزي بين أنطولوجيتين: واحدة تُدرك الموت كجزء من دورة الحياة، وأخرى تفصله وتُحوّله إلى محرم قانوني[2].

وبهذا، تتحول مواجهة الرجل الأبيض للطقوس الإفريقية إلى فعل إعاقة، يتسبب في فقدان المعنى والموت الرمزي للبطل، الذي لم يُتم طقسه المقدّس .

[1] عبد الجبار، فاطمة حسين، خطاب الآخر في المسرح الإفريقي: تمثلات الرجل الأبيض في أعمال وول سوينكا. تونس: دار محمد علي للنشر2013، ص. 103–107.

[2] سوينكا، وول المرجع السابق، ص33

# خاتمة

# خاتمة

في نهاية هذه الدراسة التي قمنا بها في مجال الأدب الافريقي والتي حاولنا ان تكون قدر الإمكان ملمة كل الإلمام بتلك الفكرة الجامعة بين الأدب الإفريقي ومدى تأثره بالاستعمار الغربي على مختلف الجوانب الثقافية الخاصة بهذا الأدب مستعينين بعينات من الإبداع الإفريقي كان أهمها رواية " أشياء تتداعى" لتشينوا أتشيبي ومسرحية " موت الملك الحصيف" لوول سوينكا. محاولين بذلك تبيان ماهية الأدب الافريقي مع تبيان بصمة الرجل الأبيض فيه.

صورة المستعمر التي رسمها الأدباء الأفارقة كشفت مدى تحمل الشعوب الافريقية رغم طغي الغزاة المستعمرين الذين حاولوا بشتى الطرق تمزيق روابط الهوية وطمس الملامح القومية والانتماء بالرغم من تضليل الحقيقة الثقافية لهذه القارة.

ولعل اهم ما نستخلصه مما سبق ذكره في هذه الرسالة يتمثل في النتائج التالية:

1. الأدب الإفريقي هو جزء من الثقافة الإنسانية المناضلة من اجل تحقيق الحرية والعدالة.
2. الأدب الإفريقي قاوم بقلمه لقاء سيادته وفرض سيطرته القومية ضد عنصرية الرجل الأبيض
3. الغاء الأساطير التي أطلقها الرجل الأبيض المتعلقة بالإنسان الإفريقي على انه مخلوق غير مروض وغير قابل للهيكلة.
4. ازاحة فكرة الرجل الأبيض المتعلقة بالبيئة الافريقية على انها وعرة موحشة مفقرة.
5. كسر صورة العبودية من طرف الرجل الأبيض التي تبعت الرجل الأسود لقرون من الزمن
6. رفع مكانة الافريقي من الوضيعة التي صنف فيها من طرف الرجل الأبيض.
7. التعريف بالمؤهلات الثقافية والاجتماعية التي يزخر بها الأدب الافريقي.
8. تنوع الأجناس الأدبية وكثرة الفنون وتجذرها في الماضي جعل من الأدب الإفريقي ركن أساسي ضمن الآثار الكبرى للأدب العالمي.
9. إحياء التراث الفكري والفني المهمش من طرف الرجل الأبيض الذي داس على ركائز الإرث الشفوي وأقام على حسابه ما يناسب سياسته التضليلية الاستعمارية.
10. كسر الصورة النمطية في الأذهان العالمية المشبعة بالغموض والمحاطة بالهمجية والجهل.
11. إظهار دور الأدباء الأفارقة الذي ساعد على توجيه القراء الى الأدب الإفريقي من اجل التعرف على شعوب القارة ومعاناتها، بعدما كانت مصادرهم تعتمد على الأدب الأجنبي المتمثل في المستكشفين

والتبشيرين ويعتبر الانتقال من نمط تصوير الأخر نحو نمط تصوير الانا وتعتبر هذه أحسن الطرق التصويرية للوصول الى الحقيقة.

12. الإلمام بالمجهودات المقدمة من طرف المفكرين الأفارقة خاصة المعاصرون منهم في حفر الذاكرة وتقليب صفحات التراث المثقل بالأدب والفن بمنظور واقعي من اجل تقريب المسافة بين الأدب العالمي والأدب الافريقي.

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع:

### أ- الكتب ومطبوعات أصلية

1- أتيدو، أما. حافة النهار. ترجمة فريدة إبراهيم، الرباط: منشورات أفريقيا الشرق، 1999

2- أتشيبي تشينوا، الأشياء تتداعى، مجلة ماساتشوستس للنقد الأدبي، لندن، دار هاي نمان،1958.

3- أتشيبي تشينوا، التعليم والهوية الثقافية، مقالات مختارة ،الطبعة الثانية، دار هاي نمان2009.

4- الصادق محمد آدم، قضايا الأدب الافريقي وتحدياته، قضية الزنوج، موقع سودانايل

5- أوجونبولا، سولا. ما بعد الاستعمار وإعادة بناء الذات. ترجمة أحمد عطية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2011

6- إزكيال مفاليلي، صورة إفريقيا، دار النشر فابر وفابر، ط1، 1962.

7- إبيولا إيرلي. الخيال الإفريقي، الأدب في إفريقيا والشتات الأسود، مطبعة جامعة أكسفورد، 2001

8- إيدو، الطرق المتفرعة، منشورات القصبة، الجزائر،2013.

9- بوسالم سميرة، صورة الرجل الأبيض في الرواية الإفريقية، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2019.

10- جيرالدمور، سبعة أدباء من افريقيا، ترجمة علي شلش، القاهرة، كتاب الهلال، 1977

11- جيكاندي، سايمور ، موسوعة الأدب الإفريقي. لندن، دار روتليدج، 2003

12- جيفيفو، بيودن ، وول سوينكا، السياسة الشعرية وما بعد الاستعمار، جامعة كامبريدج، مطبعة جامعة كامبريدج، 2004.

13- حيدرة هاجيرة، صورة المستعمر في الأدب الافريقي، جامعة عبد الحميد بن باديس، 2022،

14- لاي كامارا. الطفل الأسود. ترجمة عبد القادر عيد، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006،

15- لاي كامارا، دراسة في الأدب الإفريقي الحديث، بيروت، الدار المصرية اللبنانية، 2019.

16- لا غوما أليكس، ديسمبر هو الضهر القاسي، ترجمة محمود عبد الواحد، دار المأمون 2006.

17- لا غوما، أليكس. العبور. ترجمة محمود عبد الواحد، بغداد: دار المأمون، 1985

18- سوينكا وول، الموت وفارس الملك ، دار ميثوين ، لندن ، 1986

19- سوينكا، وول، سياسة الشعر وما بعد الاستعمار، جامعة كامبريدج 2003.

20- توين فاو. ، الاستعمار والعنف في نيجيريا، إنديانا، مطبعة جامعة إنديانا2009.

21- أشكر أشكروفت بيل و آخرون، مفاهيم في النظرية ما بعد الكولونيالية، ترجمة ثائر ديب، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2004

22- راشد شابور. الهوية والثقافة في شرق إفريقيا. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008

23- فرانز فانون، معذبو الارض1961، نقلا عن الترجمة لسامي الدروبي، بيروت، دار الفارابي،2004

24- فالولا توين، الاستعمار والعنف في نيجيريا، مطبعة جامعة إنديانا ، 2009

25- فانون، فرانز ، بشرة سوداء وأقنعة بيضاء، بيروت، دار الفارابي، 2004.

26- عبد الرؤوف بابكر السيد، الأدب الإفريقي وإشكالية المصطلح، دار افاتار للطباعة والنشر، 2018.

27- علي شلش، الأدب الإفريقي، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، مطبعة عالم المعرفة، الكويت، 1993

28- غولدمر جيلارد، سبعة أدباء من إفريقيا الهلال.، القاهرة، 1977.

29- كاماراد، مذكرة في الأدب الإفريقي،رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو 2017.

30- لورينس كورباندي كوديس، دراسة في الأدب الإفريقي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2019.

31- محمد حمود، الأدب الافريقي، مؤسسة المجد للنشر والتوزيع، ط1، 2008.

32- محمد سعيد القن، مدخل سيسيولوجي للأدب الافريقي، دراسة في أعمال وولي سوينكا

33- محمد، علي عبد الرؤوف. الأدب الإفريقي في مواجهة الاستعمار. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005

34- ميم، الخيال الإفريقي، الأدب في إفريقيا والشتات الأسود، جامعة أكسفورد، 2001.

35- نغوجي واثيونغو، تلخيص العقل، سياسة اللغة في الأدب الافريقي، نيروبي، منشورات افريقيا التعليمية، 1986

36- سعيد إدوارد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1981

37- سوينكا، وول , وجريفيوث، السياسة الشعرية وما بعد الاستعمار، لندن، جامعة كامبريدج، 2004.

**ت. مقالات ودراسات**

38- أرماه أيي كوي، الجميلات لم يولدن بعد، لندن، 1968

39- غورديمر، نادين. فصول من الرمال. ترجمة سامية صادق، بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1990

40- عبد الرحمن بشناق، الاستعمار الأوروبي لإفريقيا، 2016

41- عبد وزان، الرواية الافريقية تحتل المشهد العالمي، جريدة الاندبندنت العربية، صفحة الثقافة

42- جمال الجلاص، قرن من الأدب الإفريقي الأسود "من الأدب المستعمر إلى الأدب الغازي"، تونس، 1 يناير 2024، الموقع alfaisalmag.com

43- الجابري محمد ،الدين والدولة وتطبيق الشريعة. ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت. 1990

44- زهير بختي، في الرواية الإفريقية" تجليات عرقية في الرواية الافريقية"، ط1

45- قنديل، محمد، "رمزية الصراع في الأدب الإفريقي الحديث، قراءة في مسرح وول سوينكا". القاهرة: دار الفكر المعاصر، 2015.

46- صالح، موسم الهجرة إلى الشمال. ، دار العودة. بيروت، 1980

47- سحاب، "الهوية الثقافية في المسرح الإفريقي، قراءة في أعمال وول سوينكا". دار الآفاق، 2010.

48- محمد طيفوري، لسان نقل آلام و آمال قارة للعالم، الادب الافريقي، المجلة العربية ، 2019

49- العربي، خطاب الآخر في المسرح الإفريقي: تمثلات الرجل الأبيض في أعمال وول سوينكا. تونس: دار محمد علي للنشر، 2003

50- حسن، محمد، الرمزية في المسرح الإفريقي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007

51- حسن، عبد القادر الهوية الثقافية في الرواية الإفريقية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. 2014.

52- سليمان عبد الرحمن، أفريقيا والمسرح ما بعد الكولونيالي. عمان: دار كنوز المعرفة، 2012

53- الطهطاوي، الهوية الثقافية في المسرح الإفريقي. بيروت: دار الآفاق. 2010

54- عاموس توتولا، شارب نبيذ النخيل، دار النشر فبر و فابر ، لندن، 1952.

55- عبد الحليم حنيفة، مقال الوجه الأبيض للقارة السمراء، بوابة روز اليوسف، 2018

56- كبلنغ روديارد، عبء الرجل الأبيض و قصائد استعمارية أخرى، ترجمة ابراهيم الدسوقي، دار العين، القاهرة، 2010

57- كوتزي جون ماكسويل، في انتظار البرابرة 1980، ترجمة أسامة منزلجي، دار الحوار، دمشق، 2003

58- نتوندا فيليكس. طفولة في المنفى. ترجمة أمينة عزت، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 2004،

59- سبيفاك غاياتري، هل يمكن للتابع أن يتكلم، دراسات ما بعد الكولونيالية، تحرير بيل أشكروفت، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2004

60- نوانبا فلورا. الانهيار. ترجمة سعاد جروس، بيروت: دار الآداب، 1992

# الفهرس

**الفهرس**

**العنــوان** **الصفحة**

**إهداءات**

**تشكرات**

**المقدمة**..... أ – ب –ج

❖ **المدخل**.....

**مفهوم الأدب الأفريقي وأهميته التاريخية والثقافية**.....2

**تعريف الادب الافريقي:** .....2

**أهمية الأدب الافريقي**.....5

**الخصائص الفنية للأدب الإفريقي:** .....7

**تأثير الاستعمار على الأدب**

**الإفريقي**.....9

**المبحث الأول: نشأة صورة الرجل الأبيض**.....13

**المطلب الأول: الخلفيات التاريخية**.....13

**المطلب الثاني: الخلفيات الثقافية**.....14

**المبحث الثاني: ثنائية المستعمر والمستعمر**.....17

**المطلب الاول: المستعمر ما بعد**

**الاستعمار**.....17

**المطلب الثاني: المستعمَر ما بعد الاستعمار**.....20

المبحث الثالث: الرؤى الرمزية للرجل الأبيض.....23

المطلب الأول: الرجل الأبيض رمز الهيمنة الحضارية والاستلاب الثقافي.....23

المطلب الثاني: الرجل الأبيض رمز للازدواجية الأخلاقية والتناقض الحضاري.....25

المبحث الرابع: المواقف المتعددة للأدب الإفريقي من الرجل الأبيض.....28

المطلب الأول: النقد الاستعماري.....28

المطلب الثاني: التعايش والصراع الثقافي في الأدب الإفريقي.....30

المبحث الأول: نبذة عن المؤلف والسياق التاريخي والثقافي.....35

المطلب الأول: الخلفية الشخصية والأدبية للمؤلف.....35

المطلب الثاني: السياق التاريخي والثقافي للرواية.....38

المبحث الثاني: صورة الرجل الأبيض في الرواية.....43

المطلب الأول: الصورة الجسمية للرجل الأبيض.....43

المطلب الثاني: صورة الرجل الأبيض كمستعمر أو كمتعاطف.....45

المطلب الثالث: الرجل الأبيض والهوية الثقافية.....48

المبحث الثالث: العلاقات الثنائية في النموذجين.....51

المطلب الأول: العلاقة في شكل صراع.....51

المطلب الثاني: العلاقة في شكل تعاون.....53

المبحث الرابع: مسألة التراث الثقافي الرؤية في النموذجين.....55

المطلب الأول: الرؤية في الرواية.....55

المطلب الثاني: الرؤية في المسرحية.....56

خاتمة.....58

قائمة المصادر والمراجع

الفهرس